حقيقة قصة

هاروت وماروت

وأنواع السحر وحكمه

من خلال الآيات من (١٠١) إلى (١٠٣) من سورة (البقرة).

ألقاه في محاضرات جامعة المدينة العالمية

د. محمد بن رزق بن طرهوني

١٤٢٦هـ

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ
مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا
يَعۡلَمُونَ ١٠١ ﴾

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ
أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ
حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا
يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ
إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ
لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ ﴾

﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ
يَعۡلَمُونَ ١٠٣ ﴾

القراءات:

قرأ نافع وعاصم وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب{ وَلَكِنَّ }بالتشديد وفتح النون، و{الشَّيَاطِينَ}بالنصب، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف العاشر بالتخفيف وكسر النون و{الشياطينُ}بالرفع بالابتداء. وهما لغتان عند العرب إلا أن المشهور أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى فقراءة التشديد فيها زيادة تأكيد والله أعلم.

المناسبة:

ما زال الحديث عن جرائم اليهود وكفْرهم وعنادهم وإنكارهم نبوّة النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ ولما كانت سنّة الله جارية بأنه ما أمات أحد سُنّةً إلاّ زاد الله في خذلانه بأن أُحيي على يديه بدعة، أعقبهم نبْذهم لكلام الله إقبالَهم عل كلام الشياطين.

كما أنّ ارتباط ذلك بالسيرة واضح؛ فإن النبي–صلى الله عليه وسلم– لما قدِم المدينة وصارت اللقاءات بينه وبين اليهود وكلها تُثبت صدقه ونبوّته، ومع ذلك كفروا به، وبدلاً من تصديقه سحروه عن طريق ساحرهم لبيد بن الأعصم، ليفرّقوا بينه وبين زوجه، فكان يُخيَّل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهنّ –كما سيأتي في الحديث المتفق عليه–؛ ونزلت سورة (البقرة) تحكي كلّ ذلك.

اللغويات.

{ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ :}جمْع ظهر، وهو معروف، ويجمع أيضاً على :ظُهران. وقد شبّه ترْكهم كتاب الله تعالى وإعراضهم عنه بحالة شيء يُرمى به وراء الظهر؛ والجامع: عدم الالتفات وقلة المبالاة. ثم استعمل ها هنا ما كان مستعملاً هناك، وهو: النبذ وراء الظهر، والعرب كثيراً ما تستعمل ذلك في هذا المعنى، ومنه قول تميم بن مر :

لا تكوننّ حاجتي بظهْر ولا يعيى عليك جوابُها

{سُلَيْمَانُ :}اسم أعجمي لنبي الله الكريم سليمان بن داود –عليهما السلام–. وامتنع من الصرف للعلَمية والعجمة، ونظيره من الأعجمية في أن آخره ألف ونون: "هامان" و"ماهان"

و"شامان"؛ وليس امتناعه من الصرف للعلَمية وزيادة الألف والنون، ك"عثمان"، لأن زيادتهما موقوفة على الاشتقاق والتصريف، وهما لا يدخلان الأسماء الأعجمية.

و{السِّحْرَ :}في الأصل مصدر: سحَر يَسحَر، -بفتح العين فيهما-، إذا أبدى ما يدقّ ويخفى. وهو من المصادر الشاذة، ويُستعمل بما لطف وخفي سببه، والمراد به: أمر غريب يُشبه الخارق وليس به؛ إذ يجري فيه التعلّم، ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بارتكاب القبائح قولاً: كالرّقَى التي فيها ألفاظ الشرك ومدح الشيطان وتسخيره، وعملاً: كعبادة الكواكب والتزام الجناية وسائر الفسوق، واعتقاداً :كاستحسان ما يوجب التقرب إليه ومحبّته إياه .

وذلك لا يستتب إلاّ بمن يناسبه في الشر وخبث النفس، فإن التناسب شرط التّضامّ والتعاون؛ فكما أن الملائكة لا تعاون إلاّ أخيار الناس المشبّهين بهم في المواظبة على العبادة والتقرب إلى الله تعالى بالقول والفعل، كذلك الشياطين لا تعاون إلاّ الأشرار المشبّهين بهم في الخيانة والنجاسة قولاً وفعلاً واعتقاداً؛ وبهذا يتميّز الساحر عن النبي والولي .

وأمّا ما يُتعجب منه، كما يفعله أصحاب الحِيَل بمعونة الآلات المركّبة على النسبة الهندسية تارة وعلى صيرورة الخلاء ملاء أخرى، وبمعونة الأدوية كالنارنجيات، أو يريه صاحب خفّة اليد، فتسميته سحراً على التجوّز؛ وهو مذموم أيضاً عند البعض، وصرح النووي بحرمته.

وفسر الجمهور السحر بأنه: خارق العادة يظهر من نفس شريرة بمباشرة أعمال مخصوصة.

والجمهور على أن له حقيقة، وأنه قد يبلغ الساحر إلى حيث يطير في الهواء، ويمشي على الماء، ويقتل النفس، ويقلب الإنسان حماراً؛ والفاعل الحقيقي في كل ذلك هو الله تعالى، ولم تجْر سنّته بتمكين الساحر مِن فلْق البحر، وإحياء الموتى، وإنطاق العجماء، وغير ذلك من آيات الرسل -عليهم السلام.-

وقد أطلق بعض العلماء السّحر على المشي بين الناس بالنّميمة، لأن فيها قلب الصّديق عدواً والعدوّ صديقاً .

كما أُطلق على: حُسن التوسل باللفظ الرائق العذب، لما فيه من الاستمالة؛ ويُسمَّى: سحراً حلالاً؛ ومنه قوله -صلى الله تعالى عليه وسلم)) :-إنّ مِن البيان لسحراً.((

{بِبَابِلَ :}بلد في سواد الكوفة، وقيل: بابل العراق. وقال قتادة: هي مِن نصيبين إلى رأس العين .وقيل: جبل دماوند. وقيل: بلد بالمغرب. والمشهور اليوم :الثاني، وعند البعض هو الأول. قيل: وسُمِّيت "بابل" لتبلبل الألسنة فيها، وروي في ذلك آثار لا تصح. ونص أبو حيان وغيره على أنّ "بابل" اسم أعجمي لا عربي –كما يشير إليه كلام الأخفش–، وأنه في الأصل: اسم للنهر الكبير في بعض اللغات الأعجمية القديمة، وقد أُطلق على تلك الأرض لقُرب الفرات منها.

{هَارُوتَ وَمَارُوتَ :}عطف بيان للملكَيْن، وهما اسمان أعجميان لهما، مُنعا من الصرف للعلَمية والعجمة، وقيل :عربيان مِن: الهرت والمرت، بمعنى: الكسر. وكان اسمهما قبل :عزا وعزايا، فلما قارفا الذنب سُمِيا بذلك؛ ويشكل عليه منعُهما من الصرف، وليس إلاّ العلمية. وتكلّف له بعضهم، بأنه يحتمل أن يُقال إنهما معدولان من الهارت والمارت.

والفتنة :هي المحنة والاختبار، ومنه قول الشاعر:

وقد فُتن الناس في دينهم	وخَلَّى ابنُ عفان شراً طويلاَ

وكذا قوله تعالى –إخباراً عن موسى– عليه السلام–، حيث قال{ :إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ}، أي: ابتلاؤك واختبارك وامتحانك{ :تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ }...الآية .

و{الْمَرْءِ :}عبارة عن الرجل، وتأنيثه امرأة، ويُثنّى كل منهما، ولا يجمعان. والأفصح: فتح الميم مطلقاً، وحُكى الضم مطلقاً، وحُكى الإتباع لحركة الإعراب.
وقد جاء جمْعه نادراً بالواو والنون، فقالوا: المرؤون.

والزوج :امرأة الرجل، وقيل المراد به هنا القريب والأخ الملائم، ومنه: قوله تعالى{ :مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}، وقوله{ :احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ .}

والخَلاَق :النصيب؛ قاله مجاهد. أو القِوام؛ قاله ابن عباس. أو القدْر؛ قاله قتادة .
ومنه قول الشاعر :

فما لك بيتٌ لدى الشامخاتِ	وما لك في غالبٍ من خَلاقِ

قال الزجاج: وأكثر ما يُستعمل في الخير، ويكون للشر على قلّة.

والمثوبة" :مَفْعَلَة" -بضم العين-، مِن: الثَّواب، فنُقِلَت الضمة إلى ما قبْلها؛ فهو مصدر ميمي. وقيل: "مَفْعُولَة"، وأصلها: مَثْوُوبَة، فنُقلت ضمة الواو إلى ما قبْلها، وحذفت لالتقاء الساكنيْن؛ فهي من المصادر التي جاءت على "مَفْعُولة" كمَصْدُوقة، كما نقله الواحدي . ويقال: "مَثْوَبة" -بسكون الثاء، وفتح الواو-، وكان من حقها أن تُعلّ، فيقال: مَثَابَة كمقامة، إلاّ أنهم صحّحوها كما صححوا في الأعلام: مَكْوَزَة، وكما جاء في: مَشُورة ومَشْوَرة.

والمراد بها: الجزاء والأجر، وسُمّي بذلك لأن المحسن يثوب إليه.

الآثار.

عن السدي، في قوله{ :وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ }...الآية، قال: ولما جاءهم محمد -صلى الله عليه وسلم -عارضوه بالتوراة، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحْر هاروت وماروت، كأنهم لا يعلمون ما في التوراة مِن الأمر باتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- وتصديقه.

وقال قتادة في قوله{ :كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ}، قال: إن القوم كانوا يعلمون، ولكنهم نبذوا علمهم وكتموه وجحدوا به .

وعن ابن عباس، في قوله تعالى{ :وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا :}وكان حين ذهب ملك سليمان ارتدّ فئام من الجن والإنس واتبعوا الشهوات، فلما رجع الله إلى سليمان ملْكه، وقام الناس على الدين كما كان، وإن

سليمان ظهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه، وتوفي سليمان- عليه السلام- حدثَانَ ذلك، فظهر الإنس والجن على الكتب بعد وفاة سليمان، وقالوا: هذا كتاب من الله نزل على سليمان وأخفاه منا، فأخذوا به فجعلوه ديناً، فأنزل الله{ :وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ}، واتبعوا الشهوات التي كانت تتلو الشياطين، وهي: المعازف واللعب، وكل شيء يصدّ عن ذكر الله .

وعن ابن عباس، قال: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان، ويدفنه تحت كرسيه. فلما مات سليمان، أخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً، وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل بها. قال: فأكفره جهال الناس وسبّوه، ووقف علماؤهم. فلم يزل جهّالهم يسبونه، حتى أنزل الله على محمد –صلى الله عليه وسلم{ :–وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا .}

وعن ابن عباس قال: كان سليمان –عليه السلام– إذا أراد أن يدخل الخلاء، أو يأتي شيئاً من نسائه، أعطى الجرادة– وهي امرأة– خاتمَه. فلما أراد الله أن يبتلي سليمان– عليه السلام– بالذي ابتلاه به، أعطى الجرادة ذات يوم خاتمَه، فجاء الشيطان في صورة سليمان، فقال لها: هاتي خاتمي. فأخذه ولبسه. فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس. قال: فجاءها سليمان، فقال: هاتي خاتمي. فقالت :كذبْت لست سليمان. قال: فعرف سليمان أنه بلاء ابتُلي به .قال: فانطلقت الشياطين، فكتبت في تلك الأيام كتباً فيها سحر وكفْر، ثم دفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أخرجوها فقرؤوها على الناس، وقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب. قال: فبرئ الناس من سليمان –عليه السلام– وأكفروه، حتى بعث الله محمداً –صلى الله عليه وسلم–، وأنزل عليه{ :وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا .}

وعن عمران –وهو: ابن الحارث– قال: بينا نحن عند ابن عباس –رضي الله عنهما–، إذ جاءه رجل فقال له: من أين جئت؟ قال: من العراق. قال : من أيِّهِ؟ قال: من الكوفة. قال: فما الخبر؟ قال :تركتُهم يتحدثون أنّ علياً –وكان قد مات– خارج إليهم –أي :من قبره–. ففزع، ثم قال: ما تقول؟ لا أبا لك! لو شعرنا ما نكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه! أما إني

سأحدثكم عن ذلك: إنه كانت الشياطين يسترِقون السمع من السماء، فيجيء أحدهم بكلمة حق قد سمعها، فإذا جرب منه صدق كذب معها سبعين كذبة. قال: فتشربها قلوب الناس. قال: فأطلع الله عليها سليمان –عليه السلام–، فدفنها تحت كرسيه .فلما توفي سليمان –عليه السلام–، قام شيطان الطريق فقال :أفلا أدلكم على كنْزه الممنع الذي لا كنز له مثله؟ تحت الكرسي. فأخرجوه، فقالوا: هذا سحْر. فتناسخها الأمم –حتى بقاياها ما يتحدث به أهل العراق–، وأنزل الله –عز وجل{ :–وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا }...الآية .

وقال السدي، في قوله تعالى{ :وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ}، أي: على عهد سليمان –عليه السلام–. قال: كانت الشياطين تصعد إلى السماء، فتقعد منها مقاعد للسمع، فيستمعون من كلام الملائكة ممّا يكون في الأرض من موت أو غيب أو أمر؛ فيأتون الكهنة فيخبرونهم. فتُحدّث الكهنة الناس، فيجدونه كما قالوا. حتى إذا أمنتهم الكهنة، كذبوا لهم وأدخلوا فيه غيره، فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة .فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشا ذلك في بني إسرائيل: أنّ الجنّ تعْلَم الغيب. فبعث سليمان في الناس، فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق، ثم دفنها تحت كرسيه .ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلاّ احترق. وقال: لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب، إلا ضربت عنقه. فلما مات سليمان، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان، وخلف من بعد ذلك خلف، تمثّل شيطان في صورة إنسان، ثم أتى نفراً من بني إسرائيل فقال لهم: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً؟ قالوا: نعم. قال: فاحفروا تحت الكرسي. وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحيته، فقالوا له: فادْن. قال: لا، ولكني ها هنا في أيديكم. فإن لم تجدوه فاقتلوني. فحفروا فوجدوا تلك الكتب. فلما أخرجوها، قال الشيطان: إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر. ثم طار وذهب، وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً. واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب. فلما جاء محمد– صلى الله عليه وسلم– خاصموه بها؛ فذلك حين يقول الله تعالى{ :وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا .}

وقال الربيع بن أنس: إن اليهود سألوا محمداً –صلى الله عليه وسلم –زماناً عن أمور من أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلاّ أنزل الله تعالى عليه ما سألوا عنه، فيخصمهم؛

فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا. وإنما اسألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله –عز وجل{ :–وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ .}وإن الشياطين عمدوا إلى كتاب، فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك، فدفنوه تحت مجلس سليمان. وكان سليمان –عليه السلام– لا يعلم الغيب. فلما فارق سليمان الدنيا، استخرجوا ذلك السحر، وخدعوا الناس. وقالوا: هذا علم كان سليمان يكتمه، ويحسد الناس عليه. فأخبرهم النبي –صلى الله عليه وسلم– بهذا الحديث، فرجعوا من عنده، وقد خَزِيوا، وقد أدحض الله حجتهم .

و عن أبي العالية مثله.

وقال مجاهد في قوله{ :وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ}، قال: كانت الشياطين تسمع الوحي، فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتيْن مثلها؛ فأرسل سليمان –عليه السلام –إلى ما كتبوا من ذلك. فلما تُوفي سليمان، وجدته الشياطين فعلّمته الناس، وهو: السحر .

وقال سعيد بن جبير :كان سليمان –عليه السلام– يتبع ما في أيدي الشياطين من السحر، فيأخذه منهم، فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته؛ فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه. فدبت إلى الإنس فقالوا لهم: أتدرون ما العلْم الذي كان سليمان يُسخِّر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا: نعم. قالوا: فإنه في بيت خزانته، وتحت كرسيه. فاستثارته الإنس، واستخرجوه، فعملوا بها. فقال أهل الحِجا: كان سليمان يعمل بهذا، وهذا سحر؛ فأنزل الله تعالى على لسان نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– براءة سليمان –عليه السلام –فقال{ :وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا .}

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود –عليه السلام–، فكتبوا أصناف السحر :من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا، فليقل كذا وكذا، حتى إذا صنفوا أصناف السحر، جعلوه في كتاب، ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان، وكتبوا في عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا –الصديق للملك سليمان بن داود –عليهما السلام– من ذخائر كنوز العلْم، ثم دفنوه تحت كرسيه. واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل، حتى أحدثوا ما أحدثوا. فلما عثروا عليه قالوا: والله ما كان سليمان بن داود يسخِّر

الجن والإنس والرياح وغيرها إلاّ بهذا. فأفشوا السحر في الناس، فتعلّموه وعلموه؛ وليس هو في أحدٍ أكثر منه في اليهود -لعنهم الله-. فلما ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيما نزل عليه من الله، سليمان بن داود، وعدّه فيمن عدّه من المرسلين، قال مَن كان بالمدينة من اليهود: ألا تعجبون من محمد؟ يزعم أن ابن داود كان نبياً! والله ما كان إلاّ ساحراً. وأنزل الله في ذلك من قولهم{ :وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا }...الآية .

وعن شهر بن حوشب قال: لما سُلب سليمان -عليه السلام -مُلكه، كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان، فكتبت: من أراد أن يأتي كذا وكذا، فليستقبل الشمس، وليقل كذا وكذا... ومن أراد أن يفعل كذا وكذا، فليستدبر الشمس، وليقل كذا وكذا... فكتبته، وجعلت عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلْم. ثم دفنته تحت كرسيه. فلما مات سليمان -عليه السلام-، قام إبليس لعنه الله خطيباً، قال: يا أيها الناس! إن سليمان لم يكن نبياً، إنما كان ساحراً، فالتمسوا سحْره في متاعه وبيوته! ثم دلّهم على المكان الذي دُفن فيه. فقالوا: والله لقد كان سليمان ساحراً، هذا سحْره، بهذا تعبّدنا، وبهذا قهرنا. وقال المؤمنون: بل كان نبياً مؤمناً. فلما بعث الله النبي- صلى الله عليه وسلم- حين ذكر داود وسليمان، فقالت اليهود: انظروا إلى محمد! يخلط الحق بالباطل، يذكر سليمان مع الأنبياء! إنما كان ساحراً يركب الريح. فأنزل الله تعالى{ :وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ }...الآية .

وعن خُصيف، قال: كان سليمان إذا نبتت الشجرة، قال: لأي داء أنت؟ فتقول :لكذا وكذا. فلما نبتت الشجرة الخرنوبة، قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لمسجدك أخربه. فلم يلبث أن توفيّ. فكتب الشياطين كتاباً فجعلوه في مصلّى سليمان، فقالوا: نحن ندلّكم على ما كان سليمان يُداوي به، فانطلقوا فاستخرجوا ذلك الكتاب، فإذا فيه سحر ورقًى، فأنزل الله : {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ }إلى قوله{ :وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ}، وذكر أنها في قراءة أبيّ: "ومَا يُتلَى على الملكيْن ببابل هاروت وماروت."

وعن أبي مجلز، قال :أخذ سليمان -عليه السلام- من كل دابة عهداً، فإذا تصيب رجلاً سُئل بذلك العهد حتى خُلِّي عنه. فزاد الناس السجع والسحر، وقالوا: هذا يعمل به سليمان. فقال الله تعالى{ :وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ .}

وعن الحسن{ :وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ }قال :ثلاث: ثلث الشِّعر، وثلث السِّحر، وثلث الكهانة .

وعن الحسن{ :وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ :}واتّبعته اليهود على مُلكه. وكان السحر قبل ذلك في الأرض لم يزل بها، ولكنه إنما اتّبع على ملك سليمان .

وعن ابن عباس، في قوله{ :مَا تَتْلُوا}، قال: ما تتبع .

وعن عطاء في قوله{ :مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ}، قال: يراد ما تحدّث .

وعن ابن جريج في قوله{ :عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ}، يقول: في ملك سليمان .

وعن قتادة، في قوله{ :وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ}، يقول: ما كان عن مشورته ولا رضى منه، ولكنه شيء افتعلته الشياطين دونه{ .يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ}؛ فالسحر سحران: سحر تُعلّمه الشياطين، وسحر يُعلّمه هاروت وماروت .

وعن السدي، في قوله{ :وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ}، قال: هذا سحر خاصموه به؛ فإن كلام الملائكة فيما بينهم إذا علِمته الإنس فصنع وعمل به، كان سحراً.

وعن مجاهد قال: أمَّا السِّحر فإنما يُعلِّمه الشياطين، وأمّا الذي يُعلِّمه الملكان فالتفريق بين المرء وزوجه.

وعن ابن عباس، في قوله{ :وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ}، قال :التفرقة بين المرء وزوجه.

وعن ابن عباس، في قوله{ :وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ}، يقول: لم ينزل الله السِّحر .

وعن ابن عباس{ :وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ}، يعني: جبريل وميكائيل ببابل هاروت وماروت يعلّمان الناس السِّحر.

وعن الربيع بن أنس، في قوله{ :وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ}، قال: ما أنزل الله عليهما السِّحر .
وعن عطية{ :وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ}، قال: ما أُنزِل على جبريل وميكائيل السِّحر .
وقال أبو العالية: لم يُنزل عليهما السِّحر، يقول :عَلِما الإيمان والكفر؛ فالسحر من الكفر، فهما ينهيان عنه أشدّ النهي .

وعن الضحاك بن مزاحم: أنه كان يقرؤها{ :وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلِكَيْنِ}، ويقول: هما عِلْجان من أهل بابل .
وعن عبد الرحمن بن أبزى كان يقرؤها: "وما أُنزل على المِلكيْن": داود وسليمان .
وعن القاسم بن محمد –وسأله رجل عن قول الله تعالى{ :يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ–}، فقال الرجل: يُعلِّمان الناس ما أنزل عليهما، أو يُعلِّمان الناس ما لم ينزل عليهما؟ فقال القاسم: ما أبالي أيتهما كانت .
وفي رواية قال: لا أبالي أيّ ذلك كان، إني آمنت به .
وأخرج أبو داود، وابن أبي حاتم، والبيهقي في" سننه"، عن علي، قال: إن حبيبي –صلى الله عليه وسلم– نهاني أن أصلّي بأرض بابل؛ فإنها ملعونة .
وأخرج الدينوري في "المجالسة"، وابن عساكر، من طريق نعيم بن سالم –وهو مُتّهم–، عن أنس بن مالك، قال: لما حشر الله الخلائق إلى بابل، بعث إليهم ريحاً شرقية وغربية وقبلية وبحرية فجمعتهم إلى بابل، فاجتمعوا يومئذ ينظرون لِما حُشروا له؛ إذ نادى منادٍ: مَن جعَل المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره، واقتصد إلى البيت الحرام بوجهه، فله كلام أهل السماء . فقام يعرب بن قحطان، فقيل له: يا يعرب بن قحطان بن هود، أنت هو. فكان أوّل مَن تكلّم بالعربية. فلم يزل المنادي ينادي: مَن فعل كذا وكذا فله كذا وكذا... حتى افترقوا على اثنين وسبعين لساناً. وانقطع الصوت، وتبلبلت الألسن، فسُمّيت" :بابل". وكان اللسان يومئذ بابلياً. وهبطت ملائكة الخير والشر، وملائكة الحياء والإيمان، وملائكة الصحة والشفاء، وملائكة الغنى، وملائكة الشرف، وملائكة المروءة، وملائكة الجفاء، وملائكة الجهل، وملائكة السيف، وملائكة البأس، حتى انتهوا إلى العراق؛ فقال بعضهم لبعض:

افترقوا. فقال ملَك الإيمان: أنا أسكن المدينة ومكة، فقال ملَك الحياء: أنا أسكن معك. وقال ملَك الشفاء: أسكن البادية، فقال ملَك الصحة :وأنا معك. وقال ملَك الجفاء: وأنا أسكن المغرب، فقال ملَك الجهل: وأنا معك. وقال ملَك السيف: أنا أسكن الشام، فقال ملَك البأس: وأنا معك. وقال ملَك الغنى: أنا أقيم ها هنا، فقال ملَك المروءة: أنا معك، فقال ملك الشرف: وأنا معكما. فاجتمع ملَك الغنى والمروءة والشرف بالعراق .

وذكر السيوطي هنا آثاراً لا علاقة لها بالآية في سكنى العراق وغيره...

وقد وصلنا الآن إلى ما ورد في قصة هاروت وماروت، وهذا ما سنرجئه إلى المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى.

الروايات الواردة في قصة هاروت وماروت

***

موعدنا في هذه المحاضرة مع الروايات الواردة في "هاروت وماروت"، وسوف نسوقها مع بعض التعليقات التي لا بد منها، ثم نتكلم على خلاف أهل العلْم حولها، والراجح من ذلك بعد الانتهاء. فنقول وبالله التوفيق.

أولاً :المرفوعات.

جاءت قصة هاروت وماروت مسندة من حديث ابن عمر مطوّلة، ومن حديث والده عمر وعلي باختصار، ومن مرسَل عمر مولى غفرة مطوّلة:

فأما من من حديث ابن عمر، فمِن طريقيْن:
الطريق الأول: مِن طريق نافع عنه:
وجاء من طُرق ثلاثة عن نافع به.
الأول :أخرجه أحمد (١٣٤/٢)، وعبد بن حميد في "مسنده المنتخب(٧٨٧) "، وابن أبي حاتم في "العلل" تعليقاً(٦٩/٢) ، وابن أبي الدنيا في كتاب "العقوبات" (٢٢٢)، وابن السّنّي في" اليوم والليلة" (٦٥٧)، وابن حبان في "صحيحه" (٦٣/١٤)، والبزار في "كشف الأستار" (٢٩٣٨)، والبيهقي في "الكبرى" (٤/١٠)، وفي" الشُّعب" (١٧٨/١)، وغيرهم... من طريقيْن :عن زهير بن محمد، عن موسى بن جبير، عن نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر: أنه سمع نبي الله– صلى الله عليه وسلم– يقول)) :إن آدم –عليه السلام– لما أهبطه الله إلى الأرض، قالت الملائكة: أي ربّ،{ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ .}قالوا :ربنا نحن أطْوع لك من بني آدم. قال الله تعالى للملائكة: هلُمّوا ملكيْن من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض، فننظر كيف يعملان؟ قالوا: ربنا، هاروت وماروت .فأُهبطا إلى الأرض، ومثلت لهما

الزهرة امرأة من أحسن البشر، فجاءتهما، فسألاها نفسها. فقالت: لا والله! حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك! فقالا: والله لا نشرك بالله شيئاً أبداً! فذهبت عنهما، ثم رجعت بصبيّ تحمله، فسألاها نفسها. فقالت: لا والله! حتى تقتلا هذا الصبي !فقالا: لا والله! لا نقتله أبدا! فذهبت، ثم رجعت بقدح خمْر تحمله. فسألاها نفسها، فقالت: لا والله! حتى تشربا هذا الخمر! فشربا، فسكرا، فوقعا عليها، وقتلا الصبي .فلما أفاقا، قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً أبيتماه عليّ إلاّ قد فعلتماه حين سكرتما. فخُيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة؛ فاختارا عذاب الدنيا .((

قال أحمد : هذا مُنكر، وإنما يُروى عن كعب. (انظر السلسلة الضعيفة (١٧٠)، نقلاً عن "منتخب ابن قدامة.("

وقال أبو حاتم الرازي: هذا حديث مُنكر.

وقال البزار: رواه بعضهم عن نافع، عن ابن عمر، موقوفاً .وإنما أتى رفع هذا عندي من زهير، لأنه لم يكن بالحافظ...

وقال ابن حبان، قبل إخراجه للحديث: باب: ذكر قول الملائكة عند هبوط آدم إلى الأرض : {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ .}

ثم قال، بعد إخراجه له: الزهرة هذه: امرأة كانت في ذلك الزمان، لا أنها الزهرة التي هي في السماء، التي هي من" :الخُنَّس."

وقال البيهقي: تفرّد به زهير بن محمد، عن موسى بن جبير، عن نافع، ورواه موسى بن عقبة، عن نافع عن بن عمر، عن كعب، قال: ذكرت الملائكة أعمال بني آدم، فذكر بعض هذه القصة؛ وهذا أشبه.

وقال ابن كثير، قبل ذكْره له: إن صح سنده ورفعه.

ثم قال بعده: وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ورجاله كلّهم ثقات من رجال الصحيحيْن، إلاّ موسى بن جبير هذا، وهو: الأنصاري السلمي –مولاهم– المديني الحذاء.

روى عن ابن عباس، وأبي أمامة بن سهل بن حنيف، ونافع، وعبد الله بن كعب بن مالك.

وروى عنه ابنه عبد السلام، وبكر بن مضر، وزهير بن محمد، وسعيد بن سلمة، وعبد الله بن لهيعة، وعمرو بن الحارث، ويحيى بن أيوب. وروى له أبو داود، وابن ماجة، وذكره ابن أبي

حاتم في كتاب "الجرح والتعديل"، ولم يحْك فيه شيئاً من هذا ولا هذا؛ فهو مستور الحال. وقد تفرد به عن نافع مولى ابن عمر، عن ابن عمر- رضي الله عنهما-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم .-

قال الهيثمي في" مجمع الزوائد" (٦٨/٥): رجاله رجال الصحيح، خلا موسى بن جبير، وهو ثقة.

وقال ابن حجر في "الفتح": قصة هاروت وماروت جاءت بسند حسن، من حديث ابن عمر، في "مسند أحمد."

وقال في "العجاب": وجاء عن ابن عمر مطولاً، أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح، عن مجاهد، قال: كنت نازلاً على عبد الله بن عمر في سفر... قال: وهذه متابعة قويّة لرواية موسى بن جبير عن نافع، لكنها موقوفة على ابن عمر، لم يُضفها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-. وجاءت من وجه آخر عن ابن عمر، عن كعب الأحبار، موقوفة عليه... قال : وسند الثوري أقوى من سند زهير، إلاّ أن رواية كعب مختصرة جداً؛ فيحتمل أن يكون ابن عمر استظهر برواية كعب، لكونها توافق ما حمَله ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم.-

وقد حكى المنذري عن بعض العلماء: أنه رجّح الرواية الموقوفة على كعب على الرواية المرفوعة. والذي أقول: لو لم يَرِد في ذلك غير هاتيْن الروايتيْن لسلّمت أن رواية سالم أوْلى من رواية نافع، لكن جاء ذلك مِن عدّة طُرق عن ابن عمر، ثم مِن عدّة طُرق عن الصحابة؛ ومجموع ذلك يقضي بأنّ للقضية أصلاً أصيلاً -والله أعلم.-

الثاني :بمتابعة موسى بن جبير عن نافع:

رواه ابن مردويه، قال: ثنا دعلج بن أحمد: ثنا هشام (بن علي بن هشام): ثنا عبد الله بن رجاء: ثنا سعيد بن سلمة: ثنا موسى بن سرجس، عن نافع، عن ابن عمر، سمع النبي - صلى الله عليه وسلم- يقول ...فذكره بطوله .

قال ابن كثير: غريب جداً.

ثم قال: وأقرب ما في هذا: أنه من رواية عبد الله بن عمر، عن كعب الأحبار، لا عن النبي - صلى الله عليه وسلم .-

وذكر الألباني ما مفاده: احتمال أن يكون موسى بن سرجس هو نفسه موسى بن جبير، اختلف الرواة في اسم أبيه") .الضعيفة" (١٧٠.(

الثالث : من رواية معاوية بن صالح عن نافع:
أخرجه سُنيد في" تفسيره"، ومن طريقه :ابن جرير، والخطيب في "تاريخه" (٤٢/٨)، وابن الجوزي في" الموضوعات" (١٨٦/١)، والذهبي في "ميزان الاعتدال.(٣/٣٣١) " قال: ثنا فرج بن فضالة، عن معاوية بن صالح، عن نافع، قال :سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل قال: يا نافع، انظر طلعت الحمراء؟ قلت: لا –مرتيْن أو ثلاثاً–. ثم قلت: قد طلعت. قال: لا مرحباً بها ولا أهلاً! قلت: سبحان الله! نجم مسخّر سامع مطيع! قال: ما قلت لك إلاّ ما سمعت من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، أو قال: قال لي رسول الله –صلى الله عليه وسلم)) :–إن الملائكة قالت: يا رب كيف صبْرك على بني آدم في الخطإ والذنوب؟ قال: إني ابتليتُهم وعافيْتُكم. قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك. قال : فاختاروا ملكيْن منكم. قال: فلم يألوا جهداً أن يختاروا، فاختاروا هاروت وماروت؛ فنزلا. فألقى الله عليهم الشبق .قلت: وما الشبق؟ قال: الشهوة. فجاءت امرأة، يقال لها" :الزهرة"، فوقعت في قلوبهما، فجعل كل واحد منهما يُخفي عن صاحبه ما في نفسه. ثم قال أحدهما للآخر: هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي؟ قال: نعم. فطلباها لأنفسهما، فقالت: لا أمكّنكما حتى تعلِّماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء وتهبطان به! فأبيا. ثم سألاها أيضاً، فأبتْ .ففعلا. فلما استطيرت طمسها الله كوكباً، وقَطَّع أجنحتهما .ثم سألا التوبة من ربهما فخيّرهما، فقال: إن شئتما رددتُكما إلى ما كنتما عليه، فإذا كان يوم القيامة عذّبتكما، وإن شئتما عذّبتكما في الدنيا فإذا كان يوم القيامة رددتكما إلى ما كنتما عليه. فقال أحدهما لصاحبه: إنّ عذاب الدنيا ينقطع ويزول. فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة. فأوحى الله إليهما أن ائتيا بابل. فانطلقا إلى بابل، فخُسف بهما، فهما منكوسان بين السماء والأرض، معذّبان إلى يوم القيامة.((

سنيد بن داود المصيصي المحتسب: اسمه: الحسين؛ قال الذهبي: حافظ له تفسير، وله ما يُنكر .صدّقه أبو حاتم، وقال أبو داود: لم يكن بذلك، وقال النسائي: ليس بثقة .

قال ابن كثير: غريب جداً .وقال ابن الجوزي: لا يصحّ .

والفرج بن فضالة: ضعّفه يحيى، وقال ابن حبان: يقلب الأسانيد، ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة.

قال ابن حجر: وبين سياق معاوية بن صالح وسياق زهير تفاوت... وله طُرق كثيرة جمعتها في جزء مفرد، يكاد الواقف عليه أن يقطع بوقوع هذه القصة، لكثرة الطُرق الواردة فيها، وقوة مخارج أكثرها –والله أعلم.–

الطريق الثاني: من طريق سالم عن ابن عمر:

أخرجه البيهقي في" شعب الإيمان" (١/١٧٨)، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب، أنا محمد بن يونس بن موسى، ثنا عبد الله بن رجاء، ثنا سعيد بن سلمة، عن موسى بن جبير، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم)) :–أشرفت الملائكة على الدنيا، فرأت بني آدم يعصون، فقالوا: يا رب: ما أجهل هؤلاء! ما أقل معرفة هؤلاء بعظمتك! فقال الله تعالى: لو كنتم في مسلاخهم لعصيتموني. قالوا: كيف يكون هذا، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟! قال: فاختاروا منكم ملكيْن. قالوا :فاختاروا هاروت وماروت. ثم أهبطا إلى الدنيا، ورُكبت فيهما شهوات بني آدم. ومثلت لهما امرأة، فما عُصما حتى واقعا المعصية. فقال الله –عز وجل– لهما: فاختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة. فنظر أحدهما إلى صاحبه، فقال :ما تقول؟ قال: أقول: إن عذاب الدنيا ينقطع، وإن عذاب الآخرة لا ينقطع. فاختارا عذاب الدنيا؛ فهما اللذان ذكَرهما الله –عز وجل– في كتابه{ :وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ((}...الآية.

وهذا في إسناده محمد بن يونس الكديمي، وهو متّهم .والأكثر رووه من طريق موسى بن جبير عن نافع، كما تقدّم.

قال البيهقي: ورويناه من وجْه آخر، عن مجاهد، عن ابن عمر موقوفاً عليه، وهو أصح؛ فإن ابن عمر إنما أخذه عن كعب .

كما جاءت الإشارة إلى القصة من حديث علي مرفوعاً، من طريقيْن أو ثلاثة:
الأول :أخرجه الزبير بن البكار في "الموفقيات"، وابن مردويه والديلمي، عن علي: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– سُئل عن المسوخ؟ فقال)) :هم ثلاثة عشر: الفيل، والدب، والخنزير، والقرد، والجريث، والضب، والوطواط، والعقرب، والدعموص، والعنكبوت، والأرنب، وسهيل، والزهرة((، فقيل: يا رسول الله وما سبب مسخهنّ؟ فقال)) :أمّا الفيل، فكان رجلاً جباراً لوطياً لا يدع رطباً ولا يابساً. وأما الدب، فكان مؤنثاً يدعو الناس إلى نفسه. وأما الخنزير، فكان من النصارى الذين سألوا المائدة، فلما نزلت كفروا. وأما القردة: فيهود اعتدوا في السبت... إلى أن قال: وأما الأرنب، فامرأة كانت لا تطهر من حيض. وأما سهيل فكان عشّاراً باليمن. وأمّا الزهرة، فكانت بنتاً لبعض ملوك بني إسرائيل، افتتن بها هاروت وماروت.((

الثاني :أو لعله هو نفسه، قال ابن كثير في كونهما ملكيْن من ملائكة السماء: رواه الحافظ أبو بكر ابن مردويه في" تفسيره" بسنده، عن مغيث، عن مولاه جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي، مرفوعاً.
قال ابن كثير: هذا لا يثبت من هذا الوجه .
الثالث أو الثاني :قال ابن كثير: ثم رواه –أي ابن مردويه –من طريقيْن آخريْن، عن جابر –وهو: الجعفي–، عن أبي الطفيل، عن علي، قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم :–))لعن الله الزهرة، فإنها هي التي فتَنت الملكيْن: هاروت وماروت .((
قال ابن كثير: وهذا أيضاً لا يصحّ، وهو منكر جداً –والله أعلم .–
وأخرجه ابن السني في "اليوم والليلة" (٦٥٤)، من طريق جابر به.
وقال السيوطي، كما في "نظم المتناثر" (٢٢٢/١): وردت مرفوعة أيضاً باختصار، من حديث علي، أخرجه ابن راهويه في "مسنده."

وقد عزاه في "فيض القدير" (٢٦٩/٥) لابن مردويه، وابن راهويه، بهذا اللفظ. وعزاه في "كشف الخفا" (٤٣٩/٢) لأبي نعيم في" اليوم والليلة ."

وجاءت الإشارة إليها أيضاً من حديث عمر:
أخرجه الطبراني في" الأوسط" (٨٩/٣)، قال :حدثنا أبو مسلم، قال: حدثنا الحكم بن مروان الكوفي، قال: حدثنا سلام الطويل، عن الأجلح بن عبد الله الكندي، عن عدي بن عدي الكندي، قال: قال عمر بن الخطاب)) :جاء جبريل إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه، فقام إليه رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فقال: يا جبريل ما لي أراك متغيّر اللون؟ فقال: ما جئتك حتى أمر الله –عز وجل– بمفاتيح النار. فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: يا جبريل، صفْ لي النار، وانعت لي جهنم. فقال جبريل: إن الله تبارك وتعالى أمَر بجهنم فأُوقد عليها ألْف عام حتى ابيضّت. ثم أمر فأُوقد عليها ألْف عام حتى احمرّت. ثم أمر فأوقد عليها ألْف عام حتى اسودّت. فهي سوداء ومظلمة، لا يضيء شررها، ولا يطفأ لهبها. والذي بعثك بالحقّ! لو أنّ قدْر ثقب إبرة فُتح من جهنم، لمات مَن في الأرض كلهم جميعاً مِن حرّهِ. والذي بعثك بالحقّ! لو أن ثوباً من ثياب النار عُلّق بين السماء والأرض، لمات مَن في الأرض جميعاً مِن حرّهِ. والذي بعثك بالحقّ! لو أنّ خازناً من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه، لمات من في الأرض كلّهم من قبح وجْهه، ومِن نتن ريحه. والذي بعثك بالحقّ! لو أنّ حلقة من حلقات سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وُضعت على جبال الدنيا، لارفضّت وما تقاربت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى. فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: حسبي يا جبريل! لا ينصدع قلبي فأموت! قال: فنظر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى جبريل وهو يبكي، فقال :تبكي يا جبريل؟ وأنت مِن الله بالمكان الذي أنت به؟ قال: وما لي لا أبكي، أنا أحق بالبكاء؛ لعلّي أن أكون في علْم الله على غير الحال التي أنا عليها. وما أدري لعلّي أُبتلى بمثل ما ابتليَ به إبليس؛ فقد كان من الملائكة. وما يدريني لعلّي أُبتلَى بمثل ما ابتليَ به هاروت وماروت. قال: فبكى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وبكى جبريل –عليه السلام–. فما زالا يبكيان حتى نوديا: أن يا جبريل ويا محمد! إن الله –عز وجل– قد أمّنكما أن تعصياه .((...

الحديث.

قال الطبراني: لا يُروى هذا الحديث عن عمر إلاّ بهذا الإسناد، تفرّد به سلام.
وقال السيوطي في "الدر": سنده ضعيف .

كما وردت القصة مطولة من مرسل عمر مولى غفرة:

أخرجه ابن المنذر، كما في "الدر المنثور" (٥١٩/٥)، عن عمر مولى غفرة، يرفع الحديث إلى النبي –صلى الله عليه وسلم –قال)) :إن إدريس كان نبياً تقياً زكياً، وكان يقسم دهره على نصفيْن: ثلاثة أيام يعلِّم الناس الخير، وأربعة أيام يسيح في الأرض ويعبد الله مجتهداً. وكان يصعد من عمله وحْده إلى السماء من الخير مثل ما يصعد من جميع أعمال بني آدم. وإن ملَك الموت أحبّه في الله، فأتاه حين خرج للسياحة فقال له: يا نبي الله، إني أريد أن تأذن لي في صُحبتك. فقال له إدريس– وهو لا يعرفه–: إنك لن تقوى على صحبتي. قال: بلى! إني أرجو أن يقوّيني الله على ذلك– ((...فذكر حديثا طويلا جدا وفي آخره:–))فلما قرّ قرار إدريس في الجنة، وألزمه الله دخولها قبل الخلائق، عجّت الملائكة إلى ربهم، فقالوا: ربنا خلقت خلقتنا قبل إدريس بكذا وكذا ألْف سنة، ولم نعْصك طرفة عين، وإنما خلقت إدريس منذ أيام قلائل، فأدخلته الجنة قبلنا! فأوحى الله إليهم: يا ملائكتي، إنما خلقْتُكم لعبادتي وتسبيحي وذكري، وجعلت فيها لذّتكم، ولم أجعل لكم لذة في مطعم ولا مشرب ولا في شيء سواها، وقوّيتُكم عليها .وجعلت في الأرض الزينة والشهوات واللذات والمعاصي والمحارم. وإنه اجتنب ذلك كلّه مِن أجلي، وآثر هواي على هواه، ورضاي ومحبتي على رضاه ومحبته. فمن أراد منكم أن يدخل مدخل إدريس، فليهبط إلى الأرض فليعبدْني بعبادة إدريس ويعمل بعمل إدريس! فإن عمِل مثل إدريس، أُدخله مدخل إدريس. وإن غيّر أو بدّل، استوجب مدخل الظالمين. فقالت الملائكة: ربنا لا نطلب ثواباً، ولا تصيبنا بعقاب! رضينا بمكاننا منك، يا رب! وفضيلتك إيانا. وانتدب ثلاثة من الملائكة هاروت وماروت وملَك آخر رضوا به، فأوحى الله إليهم: أمَا إن اجتمعتم على هذا، فاحذروا إن نفعكم الحذر !فإني أنذركم! اعلموا أنّ أكبر الكبائر عندي أربع، فما عملتم سواها غفرتّه لكم، وإن عملتموها لم أغفر لكم !قالوا: وما هي؟ قال: أن لا تعبدوا صنماً، ولا تسفكوا دماً، ولا

تشربوا خمراً، ولا تطؤوا محرماً. فهبطوا إلى الأرض على ذلك، فكانوا في الأرض على مثل ما كان عليه إدريس، يقيمون أربعة أيام في سياحتهم وثلاثة أيام يُعلّمون الناس الخير ويدعونهم إلى عبادة الله تعالى وطاعته، حتى ابتلاهم الله بالزهرة، وكانت من أجمل النساء. فلما نظروا إليها، افتتنوا بها، لِما أراد الله، ولِما سبق عليهم في علمه، مع خذلان الله إياهم. فنسوا ما تقدّم إليهم، فسألوها نفسها. قالت لهم: نعم. ولكن لي زوج لا أقدر على ما تريدون مني إلاّ أن تقتلوه، وأكون لكم .فقال بعضهم لبعض: إنا قد أُمرنا أن لا نسفك دماً، ولا نطأ محرّماً، ولكن نفعل هذا مع هذا، ثم نتوب من هذا كلّه .فلما أحس الثالث بالفتنة عصمه الله من ذلك كله بالسماء، فدخلها فنجا. وأقام هاروت وماروت لِما كُتب عليهما، فشدا على زوجها، فقتلاه. فلما أراداها، قالت: لي صنم أعبده، وأنا أكره معصيته وخلافه، فإن أردتما فاسجدا له سجدة واحدة. فدعتْهما الفتنة إلى ذلك، فقال أحدهما لصاحبه: إنّا قد أُمرنا أن لا نسفك دماً، ولا نطأ محرّما، ولكنا نفعله، ثم نتوب من جميعه. فسجدوا لذلك الصنم. فلما أراداها، قالت لهما: قد بقيت لي حاجة أخرى. قالا: وما هي؟ قالت: لي شراب لا يطيب لي العيش إلاّ به. قالا: وما هو؟ قالت :الخمر. فدعتْهما الفتنة إلى ذلك، فقال أحدهما لصاحبه :إنا قد أُمرنا أن لا نشرب خمراً. فقال الآخر: إنا قد أمرنا أن لا نسفك دماً ولا نطأ محرّماً، ولكنا نفعله ثم نتوب من جميعه. فشربا الخمر. فلما أراداها، قالت: قد بقيت لي حاجة أخرى. قالا: وما هي؟ قالت: تعلِّماني الكلام الذي تعرجان به إلى السماء. فعلّماها إياه. فلما تكلمت به عرجت إلى السماء، فلما انتهت إلى السماء، مُسخت نجماً. فلما ابتُليا بما ابتُليا به عرجا إلى السماء، فغُلقت أبواب السماء دونهما، وقيل لهما: إن السماء لا يدخلها خطاء. فلما مُنعا من دخول السماء، وعلِما أنهما قد افتُتنا وابتُليا، عجّا إلى الله بالدعاء والتضرع والابتهال، فأوحى الله إليهما: حلّ عليكما سخطي، ووجبت فيما تعرضتُما واستوجبْتما. وقد كنتما مع ملائكتي في طاعتي وعبادتي حتى عصيتما، فصرتما بذلك إلى ما صرتما إليه من معصيتي وخلاف أمري؛ فاختارا إن شئتما عذاب الدنيا وإن شئتما عذاب الآخرة! فعلِما أن عذاب الدنيا وإن طال فمصيره إلى زوال، وأن عذاب الآخرة ليس له زوال ولا انقطاع، فاختارا عذاب الدنيا؛ فهما ببابل معلّقيْن منكوسيْن مقرّنيْن إلى يوم القيامة.((

وهذا ضعيف لإرساله، وعمر بن عبد الله مولى غفرة من صغار التابعين كثير الإرسال، ضعّفه بعضهم، ووثقه آخرون. ولم أقف على بقية إسناده.

ثانياً :الموقوفات .

الموقوفات على الصحابة، وجُلّها يعتبر في حُكم المرفوع، لما سنذكره في حينه -إن شاء الله:-

الأول: عن جمع وفير من الصحابة، وهو شبه إجماع:

وذلك فيما أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم (١٠٢٩)، والحاكم (١٥٥/٤) وصححه، والبيهقي في" سننه(٨/١٣٦) "، من طريقين عن ابن أبي الزناد :

قال: حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم-: أنها قالت: "قدمت امرأة عليّ من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد موته حداثة ذلك، تسأله عن أشياء دخلت فيها من أمر السحر، ولم تعمل به . قالت عائشة -رضي الله عنها- لعروة: يا ابن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تجِد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيشفيها. كانت تبكي حتى إني لأرحمها، وتقول: إني أخاف أن أكون قد هلكْت. كان لي زوج فغاب عني، فدخلت عليّ عجوز فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما آمرك به فأجعله يأتيك. فلما كان الليل جاءتني بكلبيْن أسوديْن، فركبتُ أحدهما وركبت الآخر. فلم يكن لشيء حتى وقفنا ببابل، وإذا برجلين معلّقيْن بأرجلهما، فقالا: ما جاء بك؟ فقلنا: نتعلّم السحر. فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري !فارجعي! فأبيت، وقلت: لا! قالا: فاذهبي إلى ذلك التنور، فبولي فيه. فذهبت ففزعت، ولم أفعل. فرجعت إليهما، فقالا: أفعلتِ؟ فقلت: نعم. فقالا: هل رأيت شيئاً؟ فقلت: لم أر شيئاً. فقالا: لمْ تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري! فأربت وأبيت. فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه. [فذهبت فاقشعررت وخفت، ثم رجعت إليهما. وقلت: قد فعلت. فقالا: فما رأيت؟ فقلت: لم أر شيئاً. فقالا: كذبتِ! لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري! فإنك على رأس أمرك، فأربت وأبيت. فقالا: اذهبي إلى التنور فبولي فيه]. فذهبت إليه، فبلت فيه، فرأيت فارساً مقنعاً بحديد خرج مني، فذهب في السماء، وغاب حتى ما أراه. فجئتهما. فقلت: قد فعلت . فقالا: فما رأيت؟ قلت: رأيت فارساً مقنّعاً خرج مني فذهب في السماء، وغاب حتى ما

أراه. فقالا: صدقت، ذلك إيمانك خرج منك! اذهبي! فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئاً، وما قالا لي شيئاً. فقالت: بلى، لم تريدي شيئاً إلا كان. خذي هذا القمح فابذري. فبذرت، وقلت: أطلعي،) فأطلعت). وقلت: احقلي، فأحقلت، ثم قلت: أفركي، فأفركت .ثم قلت: أيبسي. فأيبست. ثم قلت: أطحني، فأطحنت. ثم قلت: اخبزي، فأخبزت. فلما رأيت أني لا أريد شيئاً إلاّ كان، سُقط في يديّ وندمت. والله! يا أم المؤمنين، ما فعلت شيئاً، ولا أفعله أبداً. فسألت أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حداثة وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهم يومئذ متوافرون-، فما درؤا ما يقولون لها، وكلهم هاب وخاف أن يُفتيَها بما لا يعلمه، إلاّ أنه قد قال لها ابن عباس -أو بعض من كان عنده-: لو كان أبواك حيّيْن أو أحدهما ."!

قال هشام: فلو جاءتنا أفتيناها بالضّمان. قال ابن أبي الزناد: وكان هشام يقول: إنهم كانوا من أهل الورع والخشية من الله. ثم يقول هشام: لو جاءتنا مثلها اليوم، لوجدتْ نُوكَى أهل حُمق وتكلّف بغير علْم. والنّوكَى: جمع أنْوَك وهو: الأحمق.

وذكره ابن كثير بعد أن قال: وقد ورد (في ذلك) أثر غريب وسياق عجيب في ذلك، أحببنا أن ننبّه عليه. ثم قال: هذا إسناد جيّد إلى عائشة -رضي الله عنها .-

قال الآلوسي، بعد ذكْره لهذه القصة :

فهو ونظائره ممّا ذكره المفسِّرون من القصص في هذا الباب، ممّا لا يعوِّل عليه ذوو الألباب. والإقدام على تكذيب مثل هذه الامرأة الدومجندلية أولى من اتهام العقل في قبول هذه الحكاية التي لم يصح فيها شيء عن رسول رب البرية- صلى الله تعالى عليه وسلم-. ويا ليت كتب الإسلام لم تشتمل على هذه الخرافات التي لا يصدّقها العاقل ولو كانت أضغاث أحلام.

قلت: ما أحسن السكوت في موضعه، لقد ركب الآلوسي صعباً؛ فهو من حيث لا يشعر يتّهم خير القرون بالسذاجة وعدم الفطنة، وقلّة العلم بما يجوز عقلاً وشرعاً وما لا يجوز...

كما أنه يتّهم مَن رواها، ابتداء من عائشة وانتهاء بمن ضمّنها كُتبه من أهل العلْم. وإننا والله لنصدِّقها وليس فيها شيء يتعارض مع العقل، بل العيب في عقْل مَن أنكرها.

وظن الآلوسي أن الناس في هذا الزمان كانوا كذَبة كما في أزمنتنا المتأخرة، والله المستعان. بل كان الصِّدق سليقتَهم .وما مصلحة هذه المرأة الموتورة في مثل هذه الكذبة؟ وهي من

التابعيات المخضرمات، وأوشكت أن تكون صحابية جليلة؛ بل ربما كانت صحابية، فقد تكون قدمت قبل ذلك على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في غير هذه المرة...

ثم إنها قد طرحت قصتها على كبار علماء الصحابة وخيارهم، فلم يُنكر عليها أحد هذه القصة ولم يكذّبوها، ممّا يدلل على استفاضة علْمهم بأمر هاروت وماروت وفْق ما أخبرت به .ولو كان في قصتها غير ما يعرفون من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، لأخذوا على يديها، ولأَكْذَبوها واتّهموها، بدلاً مِن عطفهم عليها، وبحثهم عن مخرج لها ممّا وقعت فيه.

فليت شعري! أأصحاب رسول الله المتوافرون أعلم، أم الآلوسي ومن لفّ لفيفه؟!

وأقول كما قال هشام: لو كان الناس في زمان هذه المرأة كالناس في زماننا، لوجدت نُوكى يتّهمونها بالكذب أو الجنون.

نكتفي بهذا القدر، ونستكمل الآثار في المحاضرة القادمة– إن شاء الله.–

بقية الآثار الواردة في قصة هاروت وماروت

***

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد:

فنستكمل في هذه المحاضرة جملة من الآثار الواردة في قصة هاروت وماروت، من روايات عن الصحابة والتابعين:

الآثار الواردة في قصة هاروت وماروت، من روايات عن الصحابة -رضي الله عنهم-.

عن عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وابن عباس، وابن عمر:

رواه الدارقطني(١٦٣/٤)، والبيهقي(٦٦/١٠) في سننهما، من طُرق عن بكر بن عبد الله المزني، عن أبي رافع: "أن مولاته أرادت أن تفرّق بينه وبين امرأته، فقالت: هي يوماً يهودية ويوماً نصرانية. وكل مملوك لها حر، وكل مال لها في سبيل الله، وعليها المشي إلى بيت الله، إن لم تفرّق بينهما. فسألت عائشة -رضي الله عنها- وابن عمر، وابن عباس، وحفصة، وأم سلمة؛ فكلّهم قال لها: أتريدين أن تكوني مثل هاروت وماروت؟ وأمروها أن تكفّر يمينها، وتخلِّي بينهما".

وله ألفاظ أخرى ، وإسناده صحيح. والشاهد فيه: أن هؤلاء الصحابة جميعهم متقرِّر عندهم: أن هاروت وماروت يفرِّقان بين المرء وزوجه.

عن ابن عمر:

جاءت عنه القصة مطولة من طريقيْن:

الأول: من رواية سعيد بن جبير عنه:

أخرجه الحاكم (٦٥٠/٤) قال: "أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمرويه الصفار، ببغداد، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني: ثنا أبو الجواب: ثنا يحي بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: أنه كان يقول: أطَلعت الحمراء

بعد؟ فإذا رآها قال: لا مرحباً! ثم قال: إنّ ملكيْن من الملائكة: هاروت وماروت، سألا الله تعالى أن يهبطا إلى الأرض، فأُهبطا إلى الأرض. فكانا يقضيان بين الناس، فإذا أمسيا تكلّما بكلمات وعرجا بها إلى السماء. فقيّض لهما بامرأة من أحسن النساء، وأُلقيت عليهما الشهوة، فجعلا يؤخرانها. وأُلقيت في أنفسهما، فلم يزالا يفعلان حتى وعدتْهما ميعاداً فأتتهما للميعاد، فقالت: علِّماني الكلمة التي تعرجان بها، فعلّماها الكلمة، فتكلمت بها فعرجت بها إلى السماء، فمُسخت فجُعلت كما تروْن. فلما أمسيا تكلّما بالكلمة التي كانا يعرجان بها إلى السماء، فلم يعرجا. فبُعث إليهما: إن شئتما فعذاب الآخرة، وإن شئتما فعذاب الدنيا إلى أن تقوم الساعة على أن تلتقيان الله تعالى فإن شاء عذّبكما وإن شاء رحِمَكما. فنظر أحدهما إلى صاحبه، فقال أحدهما لصاحبه: بل نختار عذاب الدنيا ألْف ألْف ضعف؛ فهما يُعذَّبان إلى أن تقوم الساعة".

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وترك حديث يحيى بن سلمة، عن أبيه مِن المحالات التي يردّها العقل؛ فإنه لا خلاف أنه من أهل الصنعة، فلا ينكر لأبيه أن يخصّه بأحاديث يتفرّد بها عنه.

الثاني: عن مجاهد عنه:

أخرجه ابن أبي حاتم قال: "ثنا أبي: ثنا عبد الله بن جعفر الرقي: ثنا عبيد الله –يعني ابن عمرو– عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو ويونس بن خباب، عن مجاهد، قال: كنت نازلاً على عبد الله بن عمر في سفر، فلما كان ذات ليلة، قال لغلامه: (انظر) طلعت الحمراء، لا مرحبا بها ولا أهلاً، ولا حياها الله! هي صاحبة الملَكيْن. قالت الملائكة: ربّ! كيف تدَع عصاة بني آدم وهم يسفكون الدم الحرام، وينتهكون محارمك، ويفسدون في الأرض؟! قال: إني قد ابتليْتُهم، فعلَّ إن ابتليتُكم بمثْل الذي ابتليتُهم به، فعلْتم كالذي يفعلون! قالوا: لا. قال: فاختاروا مِن خياركم اثنيْن! فاختاروا هاروت وماروت. فقال لهما: إني مُهبطكما إلى الأرض، وعاهد إليكما أن لا تُشركا ولا تزنيا ولا تخونا. فأهبطا إلى الأرض، وأُلقى عليهما الشبق، وأُهبطت لهما الزهرة في أحسن صورة امرأة، فتعرّضت لهما، فأراداها عن نفسها. فقالت: إني على دين، لا يصلح لأحد أن يأتيني إلاّ مَن كان على مثله. قالا:

وما دِينك؟ قالت: المجوسيّة. قالا: الشرك! هذا شيء لا نقرّ به. فمكثت عنهما ما شاء الله، ثم تعرّضت لهما، فأراداها عن نفسها. فقالت: ما شئتما، غير أنّ لي زوجاً، وأنا أكره أن يطّلع على هذا مني فأُفتضح؛ فإن أقررتما لي بديني، وشرطتما أن تصعدا بي إلى السماء فعلت. فأقرّا لها بدينها، وأتياها فيما يريان، ثم صعدا بها إلى السماء. فلما انتهيا بها إلى السماء، اختُطفت منهما، وقُطعت أجنحتهما، فوقعا خائفيْن نادميْن يبكيان. وفي الأرض نبي يدعو بين الجمعتيْن، فإذا كان يوم الجمعة أجيب، فقالا: لو أتينا فلاناً، فسألناه، فطلب لنا التوبة. فأتياه، فقال: رحمكما الله! كيف يطلب أهل الأرض لأهل السماء؟ قالا: إنا قد ابتُلينا. قال: ائتياني يوم الجمعة، فأتياه. فقال: ما أُجبت فيكما بشيء، ائتياني في الجمعة الثانية، فأتياه. فقال: اختارا، فقد خُيِّرتما، إن أحببتما معافاة الدنيا وعذاب الآخرة، وإن أحببتما فعذاب الدنيا، وأنتما يوم القيامة على حُكم الله. فقال أحدهما: إن الدنيا لم يمض منها إلاّ القليل. وقال الآخر: ويحك! إني قد أطعتك في الأمر الأول، فأطعني الآن! إن عذاباً يفنى ليس كعذاب يبقى. فقال: إننا يوم القيامة على حكم الله، فأخاف أن يعذِّبنا. قال: لا، إني أرجو إنْ علم الله أنا قد اخترنا عذاب الدنيا مخافة عذاب الآخرة، أن لا يجمعهما علينا. قال: فاختارا عذاب الدنيا، فجُعلا في بكرات من حديد في قليب مملوءة من نار، عاليهما سافلهما".

وأخرجه سعيد بن منصور أيضاً، كما في "الدر المنثور".

وقال ابن كثير: هذا إسناد جيد إلى عبد الله بن عمر. وقد تقدم في رواية ابن جرير من حديث معاوية بن صالح، عن نافع عنه، رفعه؛ وهذا أثبت وأصح إسناداً. ثم هو -والله أعلم- من رواية ابن عمر عن كعب، كما تقدم بيانه (من رواية) سالم عن أبيه.

قال: وقوله: إن الزهرة نزلت في صورة امرأة حسناء، وكذا في المروي عن علي، فيه غرابة جداً.

قال ابن حجر في "العجاب": وجاء عن ابن عمر مطولاً، أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح، عن مجاهد، قال: "كنت نازلاً على عبد الله بن عمر في سفر...". وهذه متابعة قوية لرواية موسى بن جبير عن نافع، لكنها موقوفة على ابن عمر لم يضفها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قلت: ما ذكره ابن حجر هو الصواب -إن شاء الله تعالى-.

عن ابن عباس:

جاءت عنه الرواية من عدّة طُرق:

الأول: عن قيس بن عباد عنه:

أخرجه ابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي في "الشعب"، والسمرقندي في "تفسيره" (١٠٥/١)، من طريقيْ:ن عن أبي جعفر الرازي، قال: ثنا الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس –رضي الله عنهما–، قال: "لما وقع الناس من بعد آدم –عليه السلام– فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله، قالت: الملائكة في السماء: يا رب! هذا العالَم الذي إنما خلقْتَهم لعبادتك وطاعتك، وقد وقعوا فيما وقعوا فيه، وركبوا الكفر، وقتْل النفس، وأكل المال الحرام، والزنى والسرقة وشرب الخمر. فجعلوا يدعون عليهم، ولا يُعذرونهم. فقيل: إنهم في غيب. فلم يعذروهم. فقيل لهم: اختاروا منكم مِن أفضلِكم مَلَكيْن؛ آمرهما وأنهاهما. فاختاروا هاروت وماروت، فأُهبطا إلى الأرض، وجعل لهما شهوات بني آدم، وأمرهما الله أن يعبداه ولا يشركا به شيئاً، ونُهيا عن قتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، وعن الزنى والسرقة وشرب الخمر.

فلبثا في الأرض زماناً يحكمان بين الناس بالحق، وذلك في زمان إدريس –عليه السلام–. وفي ذلك الزمان امرأة حُسْنها في النساء كحُسن الزهرة في سائر الكواكب، وإنهما أتيا عليها فخضعا لها في القول، وأراداها على نفسها، فأبت إلاّ أن يكونا على أمرها، وعلى دينها. فسألا عن دينها، فأخرجت لهما صنماً فقالت: هذا أعبده. فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا. فذهبا فغبرا ما شاء الله، ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها، ففعلت مثل ذلك، فذهبا. ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها، فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم، قالت لهما: اختارا إحدى الخِلال الثلاث؛ إما أن تعبدا هذا الصنم، وإمّا أن تقتلا هذه النفس، وإمّا أن تشربا هذا الخمر! فقالا: كل هذا لا ينبغي، وأهون هذا: شرب الخمر. فشربا الخمر، (فأخذت فيهما) فواقعا المرأة، فخشيا أن يخبر الإنسان عنهما؛ فقتلاه. فلما ذهب عنهما السكْر، وعلما ما وقعا فيه من الخطيئة، أرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا، وحيل بينهما وبين ذلك. وكُشف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه، فعجِبوا كلّ العجب، وعرفوا أنه من كان في غيب فهو أقل خشية؛ فجعلوا بعد

ذلك يستغفرون لمن في الأرض. فنزل في ذلك: }وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ{.

فقيل لهما: اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة. فقالا: أمّا عذاب الدنيا فإنه ينقطع (ويذهب)، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له. (فاختارا عذاب الدنيا)، فجُعلا ببابل؛ فهما يعذَّبان".

قال ابن عباس: "فإذا أتاهما الآتي يريد السحر نهياه أشد النهي، وقالا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر! وذلك أنهما علِما الخير والشر، والكفر والإيمان، فعرفا أنّ السحر من الكفر. (قال): فإذا أبى عليهما، أمراه أن يأتي مكان كذا وكذا، فإذا أتاه عاين الشيطان فعلّمه، فإذا تعلّمه، خرج منه النور، فنظر إليه ساطعاً في السماء، فيقول: يا حسرتاه! يا ويله! ماذا صنع؟".

هذا لفظ ابن أبي حاتم، ولفظه عند غيره، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله -عز وجل-: }وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ...{ الآية، قال: "إن الناس بعد آدم وقعوا في الشرك، اتخذوا هذه الأصنام وعبدوا غير الله. قال: فجعلت الملائكة يدعون عليهم ويقولون: ربنا خلقت عبادك فأحسنت خلْقهم، ورزقتهم فأحسنتَ رزقهم؛ فعصوك وعبدوا غيرك. اللهم... يدعون عليهم. فقال لهم الرب -عز وجل-: إنهم في غيب. فجعلوا لا يعذرونهم. فقال: اختاروا منكم اثنيْن أهبطهما إلى الأرض، فآمرهما وأنهاهما. فاختاروا هاروت وماروت". قال: وذكر الحديث بطوله.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وعزاه السيوطي أيضاً لابن المنذر.

قال ابن كثير: هذا أقرب ما روي في شأن الزهرة -والله أعلم-.

قال ابن حجر في "العجاب": سنده حسن.

الثاني من طريق يزيد الفارسي عنه:

أخرجه ابن أبي حاتم، قال: ثنا أبي: ثنا مسلم: ثنا القاسم بن الفضل الحداني: ثنا يزيد -يعني الفارسي- عن ابن عباس، قال: "إن أهل سماء الدنيا أشرفوا على أهل الأرض، فرأوهم يعملون المعاصي، فقالوا: يا رب! أهل الأرض يعملون بالمعاصي! فقال الله: أنتم معي، وهم

غُيِّب عني. فقيل لهم: اختاروا منكم ثلاثة! فاختاروا منهم ثلاثة، على أن يهبطوا إلى الأرض، على أن يحكموا بين أهل الأرض، وجعل فيهم شهوة الآدميين. فأُمروا أن لا يشربوا خمراً، ولا يقتلوا نفساً، ولا يزنوا، ولا يسجدوا لوثن. فاستقال منهم واحد، فأُقيل. فأُهبط اثنان إلى الأرض، فأتتهما امرأة من أحسن الناس يقال لها: مناهية. فهوياها جميعاً، ثم أتيا منزلها، فاجتمعا عندها، فأراداها، فقالت لهما: لا! حتى تشربا خمري، وتقتلا ابن جاري، وتسجدا لوثني! فقالا: لا نسجد. ثم شربا من الخمر، ثم قتلا، ثم سجدا، فأشرف أهل السماء عليهما. فقالت لهما: أخبراني بالكلمة التي إذا قلتماها طِرتما. فأخبراها، فطارت، فمُسخت جمرة، وهي هذه الزهرة. وأمّا هما، فأرسل إليهما سليمان بن داود، فخيّرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فهما مناطان بين السماء والأرض".

قال ابن كثير: "وهذا السياق فيه زيادات كثيرة، وإغراب، ونكارة". والله أعلم بالصواب.

قلت: رجاله ثقات. ويزيد الفارسي: تابعي من كتّاب المصاحف، وروايته لها شواهد ومتابعات.

وقال ابن حجر في "العجاب": "سنده جيد إلى يزيد الفارسي".

الثالث: من طريق أبي عثمان النهدي عنه:

أخرجه ابن جرير، وابن أبي الدنيا في "العقوبات" (٢٢١)، من طريقيْن عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي عثمان النهدي، عن ابن مسعود وابن عباس: أنهما قالا جميعاً: "لما كثر بنو آدم وعصوْا، دعت الملائكة عليهم والأرض (والسماء) والجبال: ربنا ألاَ تُهلكهم؟! فأوحى الله تعالى إلى الملائكة: إني أنزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم، ولو نزلتم لفعلتم أيضاً. قال: فحدثوا أنفسهم أن لو ابتُلوا اعتصموا، فأوحى الله إليهم أن اختاروا ملكيْن من أفضلكم. فاختاروا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وأنزلت الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس (يسمونها: بيذخت). قال: فوقعا بالخطيئة. فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾. فلما وقعا بالخطيئة، استغفروا لمن في الأرض ﴿أَلاَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. فخُيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا".

وإسناده حسن، على كلام في ابن جدعان. وقد جاء مختصراً من غير طريقه، فيما رواه الحاكم (٢/٢٩٢، ٤٨٠)، من طريق سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: "كانت الزهرة امرأة في قومها يقال لها: بيذخت".

وقال الحاكم: الإسنادان صحيحان على شرط الشيخيْن –يعني: إسناد هذا وحديث علي–.

والغرض في إخراج الحديثيْن: ذكْر هاروت وماروت، وما سبق من قضاء الله فيهما وللزهرة.

وقال ابن حجر في "العجاب": وقال عبد الرزاق في "تفسيره"، وأخرجه عبد بن حميد عنه، قال: أنا ابن التيمي هو: معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عثمان النهدي، عن ابن عباس، قال: "إن المرأة التي فُتن بها الملكان مُسخت، فهي هذه الكوكب الحمراء –يعني: الزهرة–". وهذا سند صحيح.

الرابع: من طريق أبي شعبة العدوي عنه:

أخرجه ابن جرير قال: حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: حدثني أبي عن قتادة، قال: ثنا أبو شعبة العدوي في جنازة يونس بن جبير أبي غلاب، عن ابن عباس، قال: "إن الله أفرج السماء لملائكته ينظرون إلى أعمال بني آدم، فلما أبصروهم يعملون الخطايا، قالوا: يا رب! هؤلاء بنو آدم الذي خلقتَه بيدك، وأسجدتَ له ملائكتك، وعلّمتَه أسماء كلّ شيء، يعملون بالخطايا! قال: أما إنكم لو كنتم مكانهم لعملتُم مثل أعمالهم. قالوا: سبحانك! ما كان ينبغي لنا! قال: فأُمروا أن يختاروا مَن يهبط إلى الأرض، قال: فاختاروا هاروت وماروت. فأُهبطا إلى الأرض، وأحلّ لهما ما فيها من شيء، غير أن لا يشركا بالله شيئاً، ولا يسرقا، ولا يزنيا، ولا يشربا الخمر، ولا يقتلا النفس التي حرم الله إلا بالحق. قال: فما استمرا حتى عرض لهما امرأة قد قُسم لها نصف الحسن، يقال لها: بيذخت. فلما أبصراها أرادا بها زنى، فقالت: لا إلاّ أن تشركا بالله، وتشربا الخمر، وتقتلا النفس، وتسجدا لهذا الصنم. فقالا: ما كنا لنشرك بالله شيئاً. فقال أحدهما للآخر: ارجع إليها. فقالت: لا! إلاّ أن تشربا الخمر. فشربا حتى ثملا، ودخل عليهما سائل فقتلاه، فلما وقعا فيه من الشر، أفرج الله السماء لملائكته، فقالوا: سبحانك! كنت أعلم. قال: فأوحى الله إلى سليمان بن

داود أن يُخيِّرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا؛ فكُبِّلا من أكعبهما إلى أعناقهما بمثل أعناق البُخت، وجعلا ببابل".

قال ابن حجر في "العجاب": "سنده صحيح إلى قتادة".

الخامس: من طريق علي بن أبي طلحة عنه:

أخرجه ابن جرير قال: حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: }وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ{، قال: "التفريق بين المرء وزوجه".

وإسناده حسن.

السادس: عن عكرمة عنه:

أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (١٣٠/٣)، قال: حدثنا إبراهيم، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قال: حدثنا عيسى بن موسى، عن عبد الله بن كيسان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: "اسما الملكيْن اللذيْن يأتيان في القبر: منكر ونكير. وكان اسم هاروت وماروت وهما في السماء: عزرا وعزيرا".

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن عبد الله بن كيسان إلاّ عيسى، تفرد به يعقوب.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٥٤/٣): إسناده حسن.

السابع: من رواية عبيد الله بن عبد الله بن عباس عنه:

"يأتي ذكْر هذه الرواية فيما يأتي عن شيخ من قريش، من رواية ابنه عنه في الصحابة، وفي رواية عبيد الله في التابعين".

عن علي بن أبي طالب:

رواه عنه عمير بن سعيد.

أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا، في "العقوبات" (٢٢٣)، والحاكم (٢٩١/٢، ٤٨٠)، وأبو الشيخ في "العظمة" (١٢٢٣/٤) مختصراً ومطولاً، مِن طُرق عن عمير بن سعيد النخعي، قال: "سمعت علياً -رضي الله عنه- يخبر القوم: أن هذه الزهرة تسميها العرب: الزهرة، وتسميها العجم: أناهيد. وكان الملكان يحكمان بين الناس، فأتتهما امرأة فأرادها كل واحد منهما عن غير علْم صاحبه، فقال أحدهما لصاحبه: يا أخي إن في نفسي بعض الأمر أريد أن أذكره لك. قال: اذكره يا أخي، لعل الذي في نفسي مثل الذي في نفسك. فاتفقا على أمر في ذلك. فقالت لهما المرأة: ألا تخبراني بما تصعدان إلى السماء، وبما تهبطان إلى الأرض؟ فقالا: (باسم الله الأعظم)، به نهبط وبه نصعد. فقالت: ما أنا بمؤاتيتكما الذي تريدان حتى تُعلِّمانيه. فقال أحدهما لصاحبه: علِّمها إياه. فقال: كيف لنا بشدّة عذاب الله؟ قال الآخر: إنا نرجو سعة رحمة الله. فعلّمها إياه، فتكلمت به فطارت إلى السماء، ففزع ملَك في السماء لصعودها، فطأطأ رأسه فلم يجلس بعد، ومسخها الله فكانت كوكباً".

قال الحاكم: الإسنادان صحيحان على شرط الشيخيْن -عني: إسناد هذا، وحديث ابن عباس-. والغرض في إخراج الحديثين: ذكْر هاروت وماروت، وما سبق من قضاء الله فيهما وللزهرة.

ولفظه عند ابن جرير: عن عمير بن سعيد، قال: سمعت علياً -رضي الله عنه- يقول: "كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس، وإنها خاصمت إلى الملكيْن هاروت وماروت، فراوداها عن نفسها، فأبت عليهما إلاّ أن يعلمّاها الكلام الذي إذا تكلّم به (أحد) يُعرَج به إلى السماء. فعلّماها؛ فتكلمت، فعرجت إلى السماء. فمُسخت كوكباً".

قال ابن كثير: هذا الإسناد رجاله ثقات، وهو غريب جداً!

قال ابن حجر في "العجاب": وهذا سند صحيح، وحكمه أن يكون مرفوعاً، لأنه لا مجال للرأي فيه، وما كان علي -رضي الله عنه- يأخذ عن أهل الكتاب. وأخرجه عبد بن حميد بسند آخر صحيح إلى علي، أتمّ منه، فذكر الرواية المطوّلة.

وعزاه السيوطي أيضاً لإسحاق بن راهويه.

وعمير بن سعيد -كما في "تهذيب التهذيب" (١٢٩/٨)- من رجال البخاري ومسلم. وقال شعبة عن الحكم بن عتيبة: قال عمير بن سعيد: وحسبك به. وقال ابن معين: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن سعد: كان ثقة. وقال العجلي: ثقة.

قال ابن حجر: وأفرط أبو محمد ابن حزم في الكلام على الملائكة من كتاب "الملل والنحل"، فقال: إنه مجهول، وأنه روى حديثيْن عن علي ما نعلم له غيرهما: أحدهما: في ذكر شارب الخمر -يعني: الذي أخرجه البخاري-، والآخر: في قصة هاروت وماروت. وقال: وكلاهما كذب - كذا قال-. ولقد استعظمت هذا القول، ولولا شرطي في كتابي هذا، ما عرجت عليه؛ فإنه من أشنع ما وقع لابن حزم -سامحه الله-. وقد وقفنا له عن علي على حديث آخر: أنه كبر على يزيد بن المكفف أربعاً، وله روايات عن غير علي، فما أدري هذا الجزم من ابن حزم!

عن ابن مسعود:

من طريق أبي عثمان النهدي، عنه هو وابن عباس، أخرجه ابن جرير، وابن أبي الدنيا، وتقدم ذكْره في طُرق ابن عباس، وإسناده حسن.

عن عمر:

أخرجه أبو الشيخ في "العظمة" (١٢٢٣/٤)، قال: "حدثنا إسحاق: حدثنا عبد الله: حدثنا إسحاق بن سليمان وأبو داود، عن طلحة، عن عطاء -رحمه الله تعالى-، قال: نظر عمر -رضي الله عنه- إلى سهيل فسبّه، ونظر إلى الزهرة فسبّها، فقال: أما سهيل فكان رجلاً عشاراً، وأمّا الزهرة فهي التي فتنت هاروت وماروت".

وهو منقطع.

عن رجل من قريش أظنه ابن عباس:

من رواية ولده عنه.

أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٥٨٠/٢)، قال: "نا عتاب بن بشير، عن خُصيف، قال: كنت مع مجاهد، فمر بنا رجل من قريش، فقال له مجاهد: حدثنا ما سمعت من أبيك. قال حدثني أبي: أنّ الملائكة حين جعلوا ينظرون إلى أعمال بني آدم وما يركبون من المعاصي الخبيثة، وليس يستر الناس من الملائكة شيء، فجعل بعضهم يقول لبعض: انظروا إلى بني آدم كيف يعملون كذا وكذا! ما أجرأهم على الله! يعيبونهم بذلك. فقال الله -عز وجل- لهم: قد سمعت الذي تقولون في بني آدم، فاختاروا منكم ملكيْن أهبطهما إلى الأرض، واجعل فيهما شهوة بني ادم. فاختاروا هاروت وماروت، فقالوا: يا ربّ ليس فينا مثلهما. فأهبطا إلى الأرض، وجعل فيهما شهوة بني ادم. ومثلت لهما الزهرة في صورة امرأة، فلما نظرا إليها لم يتمالكا أن تناولا منها ما الله أعلم به، وأخذت الشهوة بأسماعهما وأبصارهما. فلما أرادا أن يطيرا إلى السماء لم يستطيعا، فأتاهما ملَك فقال: إنكما قد فعلتما ما فعلتما، فاختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة! فقال أحدهما للآخر: ماذا ترى؟ قال: أرى أن أُعذَّب في الدنيا ثم أُعذَّب، أحبّ إليّ من أن أعذَّب ساعة واحدة في الآخرة. فهما معلقان مُنكَّسان في السلاسل، وجُعلا فتنة".

سنده ظاهره الضعف، لجهالة محدّث مجاهد، واحتمال كبير أنه أحد أبناء ابن عباس؛ ولعله عبيد الله بن عبد الله بن عباس، كما سيأتي عنه. فالإسناد لا بأس به -والله أعلم-.

الآثار الواردة في قصة هاروت وماروت، من روايات عن التابعين.

عن مجاهد:

أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في "العظمة" (١٢٢٣/٤)، من طريق ابن أبي نجيح عنه، قال: "أمّا شأن هاروت وماروت، فإن الملائكة عجبت من ظلم بني آدم، وقد جاءتهم الرسل والكتب والبينات، فقال لهم ربهم تعالى: اختاروا منكم ملَكيْن أُنزلهما يحكمان في الأرض بين بني آدم! فاختاروا فلم يألوا: هاروت وماروت. فقال لهما حين أنزلهما :أعجِبتم من بني آدم؟ ومن ظلمهم ومعصيتهم؟وإنما تأتيهم الرسل والكتب من وراء وراء، وأنتما ليس

بيني وبينكما رسول؛ فافعلا كذا وكذا، ودعا كذا وكذا. فأمرهما بأمر ونهاهما. ثم نزلا على ذلك، ليس أحد أطوع لله منهما، فحكما فعدلا. فكانا يحكمان النهار بين بني آدم، فإذا أمسيا عرجا فكانا مع الملائكة. وينزلان حين يصبحان، فيحكمان فيعدلان. حتى أُنزلت عليهما الزهرة في أحسن صورة امرأة تخاصم، فقضيا عليها. فلما قامت وجد كل واحد منهما في نفسه، فقال أحدهما لصاحبه: وجدت مثل الذي وجدت؟ قال: نعم. فبعثا إليها أن ائتينا نقضِ لك. فلما رجعت، قالا وقضيا لها. فأتتهما، فتكشّفا لها عن عورتهما– وإنما كانت سوءتهما في أنفسهما، ولم يكونا كبني آدم في شهوة النساء ولذتها–. فلما بلغا ذلك واستحلاّ افتُتنا، فطارت الزهرة، فرجعت حيث كانت. فلما أمسيا عرجا، فزُجرا فلم يؤذن لهما، ولم تحملهما أجنحتهما. فاستغاثا برجل من بني آدم، فأتياه فقالا: ادْع لنا ربك. فقال: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ قالا: سمعنا ربك يذكُرك بخير في السماء. فوعدهما يوماً، وغدا يدعو لهما، (فدعا لهما) فاستجيب له، فخُيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال: ألا تعلم أن أنواع عذاب الله في الآخرة كذا وكذا في الخلد، وفي الدنيا تسع مرات مثلها. فأمرا أن ينزلا ببابل، فثمّ عذابهما. وزعم أنهما معلّقان في الحديد، مطويان، يصفقان بأجنحتهما ."

كما وقعت لمجاهد –رحمه الله– قصة رأى فيها هاروت وماروت:

أخرجها أبو نعيم في" الحلية" (٢٨٨/٣)، قال: "حدثنا أحمد بن اسحاق: ثنا محمد بن يحيى بن مندة قال: ذكر محمد بن حميد: ثنا عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، قال: كان مجاهد لا يسمع بأعجوبة إلاّ ذهب ينظر إليها. قال: وذهب إلى حضرموت إلى بئر برهوت. قال: وذهب إلى بابل، قال: وعليها وال صديق لمجاهد، قال: فقال مجاهد تعرض عليّ هاروت وماروت !قال: فدعا رجلاً من السحرة، فقال: اذهب بهذا واعرض عليه هاروت وماروت. فقال اليهودي: بشرط أن لا يدعو الله عندهما. قال مجاهد: فذهب بي إلى قلعة فقلع منها حجراً، قال: ثم قال خذ برجلي فهوى بي حتى انتهى إليهما، فإذا هما متعلقيْن مُنكّسيْن كالجبليْن العظيميْن. فلما رأيتهما قلت: سبحان الله خالقكما! فاضطربا، قال:

فكأن جبال الدنيا قد تدكدكت، قال: فغشي عليّ وعلى اليهودي. قال :ثم أفاق اليهودي قبلي. فقال: قم قد أهلكت نفسك وأهلكتني."!

وإسنادها لا بأس به، لمقال في محمد بن حميد الرازي. وقد جزم بهذه القصة جماعة من الحفاظ ممّن ترجموا لمجاهد- رحمه الله-، ومنهم: الحافظ الذهبي، حيث قال عنه في "الكاشف " (٢/٢٤٠)، وقد رأى هاروت وماروت فكاد يتلف.

عن كعب الأحبار:

أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٥٣/١)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٦٢/٧)، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في كتاب "العقوبات" (٢٢٤)، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (١٠١٣)، وأبو نعيم في "الحلية(٨/٢٤٨) "، والبيهقي في "شُعب الإيمان" (١٧٨/١، ٢٩١/٥)، من طُرق عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب، قال: ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما يأتون من الذنوب، فقيل لهم: اختاروا منكم اثنين! فاختاروا هاروت وماروت. فقيل لهما: إني أرسل إلى بني آدم رسلاً، فليس بيني وبينكم رسول، انزلا! لا تشركا بي شيئاً، ولا تزنيا، ولا تشربا الخمر! قال كعب: فو الله ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نُهيا عنه ."

وتابعه عبد العزيز بن المختار، عن موسى بن عقبة به عند ابن جرير .

قال البيهقي: وهذا أشبه أن يكون محفوظاً. وقال في موضع آخر: هذا هو الصحيح من قول كعب، وقد رويناه في باب" الإيمان بالملائكة" من حديث زهير بن محمد، عن موسى بن جبير، عن نافع عن عبد الله بن عمر، عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أتمّ من ذلك.

وقال ابن كثير: فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الإسناديْن المتقدّميْن، وسالم أثبت في أبيه من مولاه نافع. فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار، عن كتب بني إسرائيل – والله أعلم.-

قال في "نزهة السامعين"، في رواية الصحابة عن التابعين(٩٦/١): هكذا قال أبو حذيفة عن سفيان، وقال عبد الرزاق وقبيصة عن سفيان، إلا أنه لم يذكر كعباً إلاّ في كلمات في آخره، وهي قوله: إنهما لم يستكملا يومهما حتى عملا ببعض ما حُرِّم عليهما.

قلت: تقدم كلام الحافظ ابن حجر في الرد على مَن رجح رواية كعب، وكلامه في ذلك غاية في القوّة، لاسيما بعد ما قدّمناه في الموقوفات الصحيحة الثابتة، التي لها حكم الرفع .

عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس:

أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره"، ومن طريقه ابن جرير، قال :قال معمر: قال قتادة والزهري، عن عبيد الله بن عبد الله{" :وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ :}كانا ملَكين من الملائكة، فأهبطا ليحكما بين الناس -وذلك أنّ الملائكة سخروا من حكّام بني آدم-، فحاكمت إليهما امرأة، فحافا لها، ثم ذهبا يصعدان، فحيل بينهما وبين ذلك. وخُيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا ."

وقال معمر: قال قتادة: "فكانا يعلّمان الناس السّحر، فأخذ عليهما أن لا يعلِّما أحداً حتى يقولا{ :إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ."}

إسناده صحيح. وقال ابن حجر في "العجاب": سنده على شرط الصحيح، إن كان التابعي حمله عن ابن عباس .

وعزاه السيوطي لعبد بن حميد وابن المنذر من طريق الزهري به.

نكتفي بهذا القدْر، ونستكمل بقية الآثار مع التعليق عليها في المحاضرة القادمة -إن شاء الله تعالى.-

تابع الآثار الواردة في قصة هاروت وماروت، من روايات عن التابعين.

نستكمل في هذه المحاضرة بقية الآثار الواردة في قصة هاروت وماروت، مع التعليق عليها:

عن السدي:

أخرجه ابن جرير من طُرق أسباط عنه، قال: "(كان) مِن أمر هاروت وماروت، أنهما طعنا على أهل الأرض في أحكامهم، فقيل لهما: إني أعطيتُ بني آدم عشراً من الشهوات، فبها يعصونني. قال هاروت وماروت: ربنا لو أعطيتنا تلك الشهوات، ثم نزلنا لحَكمْنا بالعدل. فقال لهما: انزلا، فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر، فاحكما بين الناس !فنزلا ببابل ديناوند، فكانا يحكمان حتى إذا أمسيا عرجا، فإذا أصبحا هبطا. فلم يزالا كذلك، حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها، فأعجبهما مِن حُسنها -واسمها بالعربية: الزهرة، وبالنبطية: بيذخت، وبالفارسية: أناهيد-. فقال أحدهما لصاحبه: إنها لتعجبني! قال الآخر: قد أردت أن أذكر لك، فاستحييت منك. فقال الآخر: هل لك أن أذكرها لنفسها؟ قال: نعم؛ ولكن كيف لنا بعذاب الله؟ قال الآخر: إنا لنرجو رحمة الله. فلما جاءت تخاصم زوجها، ذكرا إليها نفسها. فقالت :لا! حتى تقضيا لي على زوجي. فقضيا لها على زوجها، ثم واعدتهما خربة من الخرب، يأتيانها فيها؛ فأتياها لذلك. فلما أراد الذي يواقعها، قالت: ما أنا بالذي أفعل، حتى تخبراني بأي كلام تصعدان إلى السماء؟ وبأي كلام تنزلان منها؟ فأخبراها .

فتكلمت، فصعدت، فأنساها الله ما تنزل به، فثبتت مكانها، وجعلها الله كوكباً.

فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها، وقال: هذه التي فتنت هاروت وماروت. فلما كان الليل أرادا أن يصعدا، فلم يطيقا، فعرفا الهلكة. فخُيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

فاختارا عذاب الدنيا، فعلقا ببابل، وجعلا يكلمان الناس كلامهما، وهو السحر ."

قال السدي: "إذا أتاهما إنسان يريد السحر، وعظاه، وقالا له: لا تكفر، إنما نحن فتنة! فإذا أبى، قالا له: ائت هذا الرماد، فبُل عليه. فإذا بال عليه، خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء؛ وذلك: الإيمان. وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان، حتى يدخل في مسامعه وكل شيء، وذلك: غضب الله. فإذا أخبرهما بذلك، علّماه السحر؛ فذلك قول الله تعالى{ :وَمَا

يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ "}...الآية.
إسناده حسن، وفيه جزء عن ابن عمر يضاف إلى الطُرق الواردة عن ابن عمر، لم نذكره ثم .

عن الربيع:
أخرجه ابن جرير، من طريق أبي جعفر الرازي عنه، بنحو ما تقدم عنه من روايته عن قيس بن عباد عن ابن عباس.
عن قتادة:
أخرجه ابن جرير بإسناد صحيح عنه، قال: قوله{ :يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ}؛ فالسحر سحران: سحر تُعلِّمه الشياطين، وسحر يُعلِّمه هاروت وماروت .
وأخرج عبد الرزاق، ومن طريقه ابن جرير بإسناد صحيح عنه، قال: "كان أُخذ عليهما أن لا يعلِّما أحداً{ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ}، أي: بلاء ابتُلينا به{ !فَلا تَكْفُرْ !}
عن رجل من التابعين:
أخرج ابن المنذر، وابن أبي الدنيا في "الإشراف في منازل الأشراف" (٣١٢/١)، من طريق الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، قال" :دخلت على عبد الملك بن مروان وعنده رجل قد ثنيت له وسادة وهو متكىء عليها، فقالوا هذا قد لقي هاروت وماروت .فقلت: هذا؟ قالوا: نعم. فقلت: حدِّثنا، رحمك الله! فأنشأ يحدّث، فلم يتمالك من الدموع، فقال:كنت غلاماً حدثاً ولم أدرك أبي. وكانت أمي تعطيني من المال حاجتي، فأنفقه وأفسده وأبذِّره، ولا تسألني أمي عنه. فلما طال ذلك وكبرت، أحببت أن أعلم من أين لأمي هذه الأموال؛ فقلت لها يوماً: من أين لكِ هذه الأموال؟ فقالت: يا بني كلْ وتنعّم، ولا تسأل؛ فهو خير لك! فألحت عليها، فقالت: إن أباك كان ساحراً. فلم أزل اسألها وألحّ، فأدخلتني بيتاً فيه أموال كثيرة، فقالت: يا بني، هذا كلّه لك، فكُلْ وتنعّم، ولا تسأل عنه! فقلت: لا بدّ من أن أعلم مِن أين هذا؟ قال: فقالت: يا بني، كلْ وتنعمْ، ولا تسأل، فهو خير لك! قال: فألححت عليها، فقالت: إن أباك كان ساحراً وجمع هذه الأموال مِن السِّحر. قال: فأكلت ما أكلت ومضى ما مضى. ثم تفكّرت، قلت: يوشك أن يذهب هذا المال ويفنى؛ فينبغي أن أتعلّم

السحر فأجمع كما جمع أبي. فقلت لأمي: مَن كان خاصة أبي وصديقه من أهل الأرض؟ قالت: فلان- لرجل في مكان ما-. فتجهّزت فأتيته، فسلّمت عليه فقال: من الرجل؟ قلت: فلان بن فلان صديقك. قال: نعم، مرحباً. ما جاء بك؟ فقد ترك أبوك من المال ما لا يُحتاج إلى أحد. قال: فقلت :جئت لأتعلّم السحر. قال: يا بني، لا تريده! لا خير فيه! قلت :لا بد مِن أن أتعلّمه! قال: فناشدني وألحّ عليّ أن لا أطلبه ولا أريده. فقلت: لا بدّ من أن أتعلّمه! قال: أمَا إذ أبيتَ، فاذهب. فإذا كان يوم كذا وكذا، فوافني ها هنا. قال: ففعلت فوافيته. قال: فأخذ يناشدني أيضاً وينهاني ويقول: لا تريد السحر، لا خير فيه! فأبيت عليه. فلما رآني قد أبيت قال :فإني أُدخلك موضعاً، فإياك أن تذكر الله فيه! قال: فأدخلني في سرب تحت الأرض. قال: فجعلت أدخل ثلاثمائة وكذا مرقاة، ولا أنكر من ضوء النهار شيئاً. قال: فلما بلغت أسفله، إذا أنا بهاروت وماروت معلّقان بالسلاسل في الهواء. قال: فإذا أعينهما كالترسة ورؤوسهما -قال الراوي: ذكر شيئاً لا أحفظه-، ولهما أجنحة. فلما نظرت إليهما، قلت: لا إله إلاّ الله. قال فضربا بأجنحتهما ضرباً شديداً وصاحا صياحاً شديداً ساعة، ثم سكتا. ثم قلت أيضاً: لا إله إلاّ الله، ففعلا مثل ذلك. ثم قلت الثالثة، ففعلا مثل ذلك أيضاً، ثم سكتا .وسكت، فنظرا إلي فقالا لي: آدمي؟ فقلت: نعم. قال: قلت: ما بالكما حين ذكرت الله فعلتما ما فعلتما؟ قالا: إن ذلك اسم لم نسمعه من حين خرجنا من تحت العرش. قالا: من أمة من؟ قلت: من أمة محمد. قالا: أو قد بُعث؟ قلت: نعم. قالا: اجتمع الناس على رجل واحد أو هم مختلفون؟ قلت: قد اجتمعوا على رجل واحد. قال: فساءهما ذلك، فقالا: كيف ذات بينهم؟ قلت: سيء. فسرّهما ذلك، فقالا: هل بلغ البنيان بحيرة الطبرية؟ قلت: لا. فساءهما ذلك، فسكتا. فقلت: لهما: ما بالكما حين أخبرتكما باجتماع الناس على رجل واحد ساءكما ذلك؟ فقالا: إن الساعة لم تقرب ما دام الناس على رجل واحد. قلت: فما بالكما سرّكما حين أخبرتكما بفساد ذات البين؟ قالا: لأنّا رجونا اقتراب الساعة. قال: قلت: فما بالكما ساءكما أن البنيان لم يبلغ بحيرة الطبرية؟ قالا: لأن الساعة لا تقوم أبداً حتى يبلغ البنيان بحيرة الطبرية. قال: قلت لهما: أوصياني! قالا: إن قدرت أن لا تنام فافعل، فإن الأمر جد."!

ورجاله ثقات، وفيه دليل على اهتمام السلف بذلك، وتصديقهم له.

وأخرجه في "الإشراف"، من طريق ابن المبارك، قال: "أخبرنا رجل عن رجل، عن عروة بن رويم، قال: لما قدم مسلمة بن عبد الملك ها هنا أميراً، قيل له: إن ها هنا رجلاً دخل على هاروت وماروت. فأرسل إليه، فإذا شيخ جليل، فثُنيت له وسادة بين السماطين. فقال له مسلمة: أنت الذي دخلت على هاروت وماروت؟ فأرسل عينيْه فبكى، ثم شف دموعه، فقال: إني كنت غلاما يافعاً في حجر أمي...". فذكر نحوه، وفيه زيادات .وفي آخره، قال ابن المبارك: "طمس ذلك المكان، فلا يُعرف اليوم."

عن خصيف الجزري:

أخرجه سعيد بن منصور (٥٧٦/٢)، عن عتاب بن بشير عنه، قال: في قوله –عز وجل :– {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ}، "قال: كان سليمان إذا نبتت الشجرة، قال: لأي داء أنت؟ فتقول: لكذا وكذا..."؛ فذكر الحديث .

وفيه: "وذكر أنها في قراءة أُبيّ" :وما يُتلَى على الملَكيْن ببابل هاروت وماروت وما يعلِّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر" سبع مرار. فإن أبى إلاّ أن يكفر، علّماه؛ فيخرج منه نار أو نور حتى يسطع في السماء، قال: المعرفة التي كان يعرف."

وسنده حسن.

عن ابن زيد:

أخرجه ابن جرير عنه، قال{ :وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ }فقرأ حتى بلغ{ :فَلا تَكْفُرْ}، قال: "الشياطين والملّكان يعلِّمون الناس السِّحر." وإسناده صحيح.

عن الحسن:

أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم واللفظ له، من طريقيْن عنه، في قوله{ :حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ}، قال" :نعم، أُنزل الملكان بالسِّحر، ليعلِّموا الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلي به الناس، فأُخذ عليهم الميثاق أن لا يعلِّما أحداً{ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ."}وإسناده صحيح.

عن ابن جريج:

أخرجه ابن جرير عنه، قال: "أُخذ الميثاق عليهما أن لا يعلِّما أحداً حتى يقولا: إنما نحن فتنة

فلا تكفر! لا يجترئ على السحر إلاّ كافر ."

وفيه ضعف.

عن أبي جعفر الباقر:

أخرجه ابن أبي حاتم (١/١٨٩، ١٨٩)، وابن عساكر عنه، قال" :السجل ملَك، وكان هاروت وماروت من أعوانه. وكان له كل يوم ثلاث لمحات ينظرهن في أم الكتاب. فنظر نظرة لم تكن له، فأبصر فيها خلق آدم وما فيه من الأمور، فأسرّ ذلك إلى هاروت وماروت. فلما قال تعالى{ :إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا}، قالا ذلك استطالة على الملائكة ."

وفي إسناده مبهم.

غيرهم:

أخرج ابن جرير بإسناد فيه ضعف، عن معمر، قال: قال غير قتادة: "أُخذ عليهما أن لا يعلِّما أحداً حتى يتقدّما إليه فيقولا: إنما نحن فتنة فلا تكفر."!

من الشواهد على إثبات السِّحر لهاروت وماروت:

ما أخرجه ابن أبي الدنيا في "ذم الدنيا"، والبيهقي في "شُعب الإيمان"، عن أبي الدرداء، قال: قال: رسول الله –صلى الله عليه وسلم)) –احذروا الدنيا! فإنها أسحر من هاروت وماروت.((!

وأخرج الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول"، عن عبد الله بن بسر المازني، مرفوعاً نحوه.

وأخرج الخطيب في "رواة مالك"، عن ابن عمر مرفوعاً، نحوه مطولاً.

وإلى هنا انتهى سوق الروايات الواردة في القصة المطوّلة والمختصرة.

كلام بعض أهل العلْم في قصة هاروت وماروت، مع مناقشته

***

قال ابن كثير، بعد أن ذكر المرفوع والموقوف، وتكلّم على كل رواية منفردة كما سبق ذكْره: "وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين، كمجاهد، والسدي، والحسن (البصري)، وقتادة، وأبي العالية، والزهري، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان، وغيرهم... وقصها خلْق من المفسِّرين (من المتقدِّمين) والمتأخِّرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى. وظاهر سياق القرآن :إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها؛ فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى –والله أعلم بحقيقة الحال–

قلت: هذا الكلام من ابن كثير –رحمه الله– فيه هروب من بيان معنى الآيات، مع جزم بلا دليل، ثم تناقض واضح بين أوّله وآخره؛ وبيان ذلك يتضح من كلامي الآتي:

أولاً :كيف يذكر في أوّل الكلام رواية مرفوعة في ديوان أهل السنة –"مسند الإمام" أحمد–، وبسند ظاهره الحُسن، ثم يذكر روايات موقوفة يجزم بصحّتها وثبوتها عن كبار الصحابة، ومنهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، وابن عمر الذي كان يسبّ هذا النجم بناء على هذه القصة، وابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الذي كان ينهى المسلمين عن الأخذ عن أهل الكتاب، ويذكر أيضاً قصة المرأة التي جاءت من دومة الجندل، والصحابة متوافرون وقد صدقوها ورقُّوا لحالها بإجماع منهم، ثم يذكر هذه الكوكبة من أئمة التفسير في عهد التابعين، ولا يذكر رائحة خلاف لكل ذلك في الصدر الأول، لا في عهد الصحابة ولا تابعيهم، ثم يقول" :وقصها خلْق من المفسرين من المتقدِّمين والمتأخِّرين"؟

هذا كله، إن لم يكن يدل على ثبوت القصة وصحة نقلها عن الصادق المعصوم، وأنها لا يمكن أن تكون عن غيره، حتى ولو لم ينقل هذا صراحة، فنقول على الدين السلام! ورحم الله تلك القرون المفضّلة: تلاميذ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وتلاميذهم الذين تناقلوا كلاماً في تفسير كتاب الله، هو من أكاذيب أهل الكتاب وخرافاتهم! ويا حسرة على العلم في تلك العهود الذي مرجعه رجل يهودي أسلم بل ادّعى الإسلام عند بعضهم، فاستطاع أن يلعب بدين علي وابن عمر وابن عباس وابن مسعود وعائشة وحفصة وأم سلمة وجمهور

الصحابة! وكذا لعب على أئمة التفسير وحماة العقيدة في عصر التابعين ممّن ساق بعض أسمائهم!

وليس ثمة دليل على أن أصل ذلك مرجعه لأخبار بني إسرائيل. والرواية عن كعب طرف صغير من هذه القصة لم يثبت عنه سواه، وحكاية ابن عمر عنه ذلك من باب الاستظهار فقط، كما رجحه الحافظ ابن حجر. وهذا واضح جداً لأيّ متأمِّل، وإلاّ فمن أين أتى عليّ بروايته؟ ومن أين أتى ابن عباس بروايته؟ ومن أين أتى هذا الاتفاق من الصحابة في قصة المرأة؟

ولا بد لنا أن نكذِّب أيضاً من رآهما، ونسفه من حكى ذلك عنهم، ومن استمع وصدّق وتناقل!

وقال الآلوسي: "وأما ما روي أن الملائكة تعجبت من بني آدم... إلخ، إلى غير ذلك من الآثار التي بلغت طُرقها نيفاً وعشرين، فقد أنكره جماعة منهم القاضي عياض. وذكَر أنّ ما ذكَره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت لم يرد منه شيء، لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله- صلى الله تعالى عليه وسلم-، وليس هو شيئاً يُؤخذ بالقياس .وذكر في "البحر" أن جميع ذلك لا يصح منه شيء، ولم يصحّ أن رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- كان يلعن الزهرة، ولا ابن عمر -رضي الله تعالى عنهما-، خلافاً لمن رواه. وقال الإمام الرازي -بعد أن ذكر الرواية في ذلك-: "إن هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة. ونص الشهاب العراقي على أن من اعتقد في هاروت وماروت أنهما ملَكان يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة، فهو كافر بالله تعالى العظيم؛ فإن الملائكة معصومون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون. والزهرة كانت يوم خلْق الله تعالى السموات والأرض، والقول بأنها تمثلت لهما فكان ما كان، ورُدّت إلى مكانها غير معقول ولا مقبول."

قال الآلوسي: "واعترض الإمام السيوطي على مَن أنكر القصة، بأن الإمام أحمد، وابن حبان، والبيهقي، وغيرهم، رووها مرفوعة وموقوفة على عليّ، وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، -رضي الله تعالى عنهم-، بأسانيد عدّة صحيحة، يكاد الواقف عليها يقطع بصحتها، لكثرتها وقوة مُخرِّجيها. وذهب بعض المحققين إلى أنّ ما رُوي حكايةٌ لِما قاله

اليهود، وهو باطل في نفسه؛ وبطلانه في نفسه لا ينافي صحة الرواية، ولا يرد ما قاله الإمام السيوطي عليه، إنما يرد على المنكرين بالكلية."

ثم أتى الآلوسي بطامة من طاماته، فقال: "ولعل ذلك من باب الرموز والإشارات، فيُراد من الملكيْن: العقل النظري والعقل العملي، اللذان هما من عالَم القدس، ومن المرأة المسماة بالزهرة: النفس الناطقة... إلى آخر التخليط المعروف عند أصحاب هذه الخرافة المسماة بالتفسير الإشاري.

ثم قال الآلوسي: "ومَن قال بصحة هذه القصة في نفس الأمر، وحملها على ظاهرها، فقد ركب شططاً، وقال غلطا، وفتح باباً من السحر يُضحك الموتى ويُبكي الأحياء، وينكس راية الإسلام ويرفع رؤوس الكفرة الطغام، كما لا يخفى ذلك على المنصفين من العلماء المحققين."

قلت: بل والله العكس! فكيف بك تتّهم الصحابة والتابعين بلا خلاف بينهم بما تقول؟ فما الذي بقي للإسلام وهم حمَلَته وناقِلوه، وعلماؤه وفقهاؤه، وأهل العقيدة والتوحيد؟

وقد كثر في كلام أهل العلم من المفسرين وغيرهم التعرض لنسبة السحر لهاروت وماروت، وذكر قصتهما بطريق التسليم بها؛ وتتبّع ذلك يطول.

ونذكر هنا أمثلة على ذلك: قال ابن رجب في كتاب" التخويف من النار" (٣٦/١): "وأما سائر الخلق، فأشرفهم الملائكة، وهم متوعّدون على المعصية بالنار، وهم خائفون منها. قال الله تعالى{ :وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ .}وقد استفاض عن جماعة من الصحابة والتابعين ومَن بعدَهم: أن هاروت وماروت كانا ملَكيْن، وأنهما خُيّرا بعد الوقوع في المعصية بيْن عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا لعلْمهما بانقضائه. وقد روي في ذلك حديث مرفوع من حديث ابن عمر، عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، خرّجه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه، ولكن قد قيل: إن الصحيح: إنه موقوف على كعب."

وقال الكتاني في "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" (٢٢٢/١): ذكر ابن حجر والسيوطي: أنه ورد من نحو عشرين طريقاً. وفي حواشي البيضاوي للسيوطي: القصة ثابتة وقد استوعبتُ

طُرقها في التفسير المسند، وكذا ذكر في كتابه" الحبائك في أخبار الملائك" أنه استوفى طُرقها في "تفسيره الكبير". وقال في "مناهل الصفا": ورد فيها عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الصحيح وغيره. كما استوعبت طُرق القصة في التفسير المسند. وحاصل ذلك: أن القصة وردت مرفوعة ...فذكر طُرقها ثم قال: "ووردت موقوفة على علي، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم... بأسانيد عدة صحيحة وغيرها .قال ابن حجر في "شرح البخاري": وفي "القول المسدد": لهذه القصة طُرق تفيد العلْم بصحتها". اهـ .

وقال في "اللآلئ المصنوعة": "قصة هاروت وماروت رويناها من طُرق كثيرة، عن ابن عمر، وابن عباس، وعلي، وغيرهم، وموقوفاً، بألفاظ مختلفة .ثم نقل عن ابن حجر في "القول المسدد" قال وردت مِن طُرق يقطع الناظر فيها بوقوع هذه القصة."

وقال أبو محمد ابن قتيبة في "تأويل مختلف الحديث" :(١/١٨٢) "وأما قولهم في قول الله تبارك وتعالى{ :وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ}، ثم قال{ :يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ }إن تأويله: ولم ينزل على الملَكين ببابل، فليس هذا بمنكر من تأويلاتهم المستحيلة المنكوسة. فإذا كان لم ينزل على الملكيْن ببابل هاروت وماروت، صار الكلام فضلاً لا معنى له... إلى أن قال" :وتأويل هذا عندنا مبين بمعرفة الخبر المروي فيه، وجملته على ما ذكر بن عباس" ... فذكر الرواية في ذلك.

وقال في "عمدة القاري" (٢/٢٧٨): "قوله{ :هَارُوتَ وَمَارُوتَ :}بدل من{ :الْمَلَكَيْن}، أو عطف بيان؛ وفيهما اختلاف كثير. والأصح :أنهما كانا ملَكين أنزلا من السماء إلى الأرض، فكان من أمرهما ما كان، وقصتهما مشهورة."

وقال المناوي في "فيض القدير{" :(١/١٣٩) "هَارُوتَ وَمَارُوتَ }قال الحرالي :هما ملكان جُعلا حكَمين في الأرض. وقال القاضي كالزمخشري: ملكان أنزلا لتعليم السحر، ابتلاء من الله تعالى للناس، وتمييزاً بينه وبين المعجزة. وقيل: رجلان سُميا ملَكين باعتبار صلاحهما. ومنع صرفهما للعلمية والعجمة. وقال الكازروني: ملكان من أعبد الملائكة، ركّب الله فيهما الشهوة بعد ما طعن الملائكة فينا، ليُظهر عذرنا، فعصيا؛ فخيّرهما بين عذابي الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فعذبهما إلى يوم القيامة يمتحن بها عباده ."انتهى .

قال: ولا يعلِّمان السحر حتى يقولا{ :إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ

بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ .}فهما يعلّمان السحر ويبيّنان فتنته... وهما يعلِّمان ما يفرِّق بين المرء وزوجه.

قال: "وقصة هاروت وماروت المشهورة وردت من نحو عشرين طريقاً، بعضها حسن، فزعْمُ بطلانِها غير صواب، كما بينه الحافظ ابن حجر. وقال: من وقف عليها يكاد يقطع بوجود القصة" اهـ.

وقال العجلوني في "كشف الخفاء" (٤٣٩/٢): "صحح هذه القصة السيوطي، ولا عبرة بمن أنكرها، كالرازي، والقرطبي؛ فإنهم ليسوا في مرتبة المصحِّحين رواية ولا دراية."

ونختم هذه النقول بقول ابن حجر في "العجاب" :(١/٣١٧) "ومنهم –أي: من أهل العلْم– من يعسر عليه التأويل، فيبادر إلى تكذيب المنقول، لعدم معرفته بأحوال النقَلة؛ حتى إن ابن حبان –مع أنه ممّن ينتسب إلى الحديث وأهله، و يتبسّط في توثيق بعض الشيوخ وتجريحهم– تبع غيره في إنكار ما ورد من قصة هاروت وماروت والزهرة، كما سأذكر لفظه .وقد ورد في ذلك خبر مرفوع رجاله موثقون وله شواهد كثيرة... فذكر الحديث، وقال :

قال شيخنا الحافظ أبو الحسن في "زوائد المسند": "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير موسى بن جبير و هو ثقة."

قال: "قلت: السند على شرط الحسن، وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه كعادته في تصحيح مثله، فأخرجه في النوع الرابع من القسم الثالث، عن الحسن بن سفيان، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيى بن أبي بكير، ورجاله رجال الصحيح إلا موسى بن جبير؛ فإنه مدني نزل مصر، وروى عنه جماعة، ولم أر فيه تجريحاً ولا تعديلاً إلا ذكْر ابن حبان له في الثقات، وإخراج حديثه في صحيحه.

وقال ابن حبان بعد تخريجه: "الزهرة هذه: امرأة كانت في ذلك الزمان، لا أنها الزهرة التي هي في السماء ."

قلت –أي: ابن حجر–: "وهذا ممّا قاله من عنده، وقد ورد الخبر بخلاف ما زعم، وصرح فيه بأنها الزهرة الكوكب الذي هو الآن في السماء، وإن تلك المرأة مسخت كوكباً."

ثم قال: "تنبيه: طعن في هذه القصة من أصلها بعضُ أهل العلْم ممّن تقدّم، وكثير من المتأخِّرين. وليس العجب مِن المتكلّم والفقيه، إنما العجب ممّن ينتسب إلى الحديث كيف

يطلق على خبر ورد بهذه الأسانيد القوية مع كثرة طرقها أو تباين أسانيدها: أنه باطل، أو نحو ذلك من العبارة، مع دعواهم تقوية أحاديث غريبة أو واردة من أوجه لكنها واهية، واحتجاجهم بها و العمل بمقتضاها؟ ."

وقد لخص الثعلبي، ثم ابن ظفر، ثم القرطبي، هذه القصة من بعض ما ذكرته، ومن رواية الكلبي وغيره من المفسرين، وذكروا في القصة زيادات.

قال: "وأما من أنكرها، فجماعة منهم القاضي أبو بكر بن العربي في "أحكام القرآن"، فقال : "وقد روى المفسرون عن نافع، قال: قال لي ابن عمر :أطلعت الحمراء؟ قلت: نعم. و ذكَر أنه لعنها. فقلت: سبحان الله! نجم مسخّر مُطيع تلعنه؟ قال: ما قلت إلاّ ما سمعت من رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: أن الملائكة عجبت من معاصي بني آدم في الأرض... فذكَر القصة ولخّص بعض ما ورد في ذلك. ثم قال :وإنما سقت هذا الخبر، لأن العلماء رووه و دوّنوه، فخشينا أن يقع لمن يضل به. وتحقيق القول فيه: أنه لم يصحّ سنده، ولكنه جائز كله في العقل لو صح النقل... إلى آخر كلامه ."فجوّز وقوع ذلك، ودفع صحة النقل بوقوعه؛ وهو محجوج بما قدّمته .

وقد تلقاه عنه القرطبي المفسِّر، فقال -بعد أن أشار إلى القصة باختصار- ما نصه: "وهذا كله ضعيف وبعيد على ابن عمر. وممن أنكر صحة ذلك: أبو محمد ابن عطية في "تفسيره"، فقال: روي عن علي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وكعب الأحبار، والسدي، والكلبي، ما معناه... فذكر القصة ملخّصة ثم قال: "وهذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر و غيره، لا يصح منه شيء؛ فإنه قول تدفعه الأصول في المنقول. وأما العقل فلا ينكر ذلك، إذ في قدرة الله تعالى كلّ موهوم؛ لكن وقوع هذا الجائز لا يدرك إلاّ بالسمع، ولم يصحّ". انتهى .

ومنهم: أبو محمد ابن حزم، فقال في كتاب "الملل و النحل"، بعد أن قرّر عصمة الأنبياء واستدل بالآيات الواردة في ذلك، وأطنب في التمسك بظاهرها وعمومها، ثم ختم بأن قال : "وهذا يبطل ظن من قال إن هاروت وماروت كانا ملكين فعصيا بالزنى و شرب الخمر وقتل... النفس ثم أخذ يتأول القصة التي في الآية، قال: و لم يقل الله إنهما كفرا و لا عصيا، وإنما جاء ذلك في خرافة موضوعة لا تصح من طريق الإسناد أصلاً، ولا هي مع ذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بل هي موقوفة على من دونه فسقط التعلق بها ...إلى

أن قال: نسبوا إلى الله ما لم يأت به أثر يُشتغل به، وإنما هو كذب مفترى أن الله أنزل إلى الأرض ملَكين وهما هاروت وماروت، وإنهما عصيا بشرب الخمر، والحُكم بالباطل، وقتل النفس المحرمة، والزنى، وتعليم الزانية اسم الله الأعظم فطارت به إلى السماء فمسخت كوكباً، وهي :الزهرة. وإنهما عُذِّبا في غار ببابل، قال: وأعلى ما في هذا الباب: خبر رويناه من طريق عمير بن سعيد وهو مجهول، يقال له: مرة النخعي، ومرة الحنفي؛ ما نعلم له رواية إلا هذه الكذبة، و ليست مرفوعة بل وقفها على علي، وكذبة أخرى في :أنّ حدّ الخمر لم يسنّه النبي -صلى الله عليه وسلم ."-انتهى .

وكلامه في هذا الفصل يُنبئ عن قصوره في النقل، فرد عليه كلامه في عمير بن سعيد -أي: ابن حجر-، وقال: فسقط كلامه وقد تلقاه منه بالقبول شيخ من شيوخنا: أثير الدين أبو حيان، وسأذكر كلامه بعْد .

وممّن صرح بنفي ورود حديث مرفوع في هذه القصة: القاضي عياض في "الشفاء"، فقال ما نصه -بعد أن حكى الخلاف في عصمة الأنبياء: هل هي عامة في الجميع؟ أو في المرسلين فقط؟ و فيمن عداهم؟ خلاف-. قال: فممّا احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها أهل الأخبار و نقلة التفسير، وما يُروى عن علي وابن عباس في خبرهما و ابتلائهما، فاعلم: أن هذه الأخبار لم يُرو منها شيء لا سقيم و لا صحيح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وليس هو شيئاً يؤخذ بقياس، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه. وقد أنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف وهذه الأخبار من كذب اليهود وافترائهم."

قلت -أي: ابن حجر-: "وهذا من غريب ما وقع لهذا الإمام المشتهر بالحديث، المعدود في حفاظه، المصنف في شرحه! كيف يجزم بما نفاه من ورود خبر مرفوع في هذه القصة؟ وكيف يجزم بأن الذي ورد من ذلك إنما هو من افتراء اليهود؟ مع أن علياً، وابن عباس، وابن عمر، و غيرهم، ثبت عنهم الإنكار على من سأل اليهود عن شيء من الأمور، وكثرة الأخبار الواردة في هذه القصة.

وقال أبو حيان في "تفسيره الكبير" الذي سماه: "البحر": "وقد ذكر المفسّرون في قراءة من قرأ{ :الْمَلَكَيْنِ- }بفتح اللام- قصصاً تتضمن أن الملائكة تعجبّت من بني آدم... فذكر

قصة ملخّصة إلى أن قال: وكل هذا لا يصح منه شيء. والملائكة معصومون لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون. ولا يصح أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يلعن الزهرة، ولا ابن عمر". انتهى .

قال ابن حجر: "وليعتبر الناظر في كلام هؤلاء، والعجب ممّن ينتمي منهم إلى الحديث، ويدّعي التقدم في معرفة المنقول، ويسمّى عند كثير من الناس بالحافظ، كيف يُقدم على هذا النفي و يجزم به، مع وجوده في تصانيف مَن ذكرنا من الأئمة بالأسانيد القوية و الطرق الكثيرة؟ والله المستعان."!

وأقول -أي: ابن حجر-: في طُرق هذه القصة: القوي و الضعيف، ولا سبيل إلى ردّ الجميع؛ فإنه ينادى على مَن أطلقه بقلّة الاطّلاع والإقدام على ردّ ما لا يعلمه؛ لكن الأولى: أن يُنظر إلى ما اختلفت فيه بالزيادة و النقص، فيؤخذ بما اجتمعت عليه، ويؤخذ من المختلف ما قوي و يطرح ما ضعف أو ما اضطرب؛ فإن الاضطراب إذا بعد به الجمع بين المختلف ولم يترجّح شيء منه التحق بالضعيف المردود. والله المستعان!". انتهى كلام ابن حجر، وهو نفيس جداً.

ونلاحظ أن الاعتراض على هذه القصة من وجهيْن:

الأوّل نقليّ:

وهو: عدم ورود نقل صحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا مردود بورود النقول المتضافرة التي لا يمكن أن تكون عن غير النبي- صلى الله عليه وسلم-، حتى وإن لم يُصرّح فيها بالرفع؛ فإن الموقوف الذي له حكم المرفوع، كالمصرح برفعه سواء. وقد وردت القصة من هذه الطرق:

مرفوعة :

-١من طريقيْن: عن ابن عمر، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مطولاً، أحد هذيْن الطريقين صحّحه ابن حبان، وقال فيه الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، خلا موسى بن جبير، وهو: ثقة. وقال فيه ابن حجر: إسناده حسن. وصححه السيوطي.

-٢من ثلاثة طُرق عن عليّ مرفوعاً باختصار.

-٣عن عمر مرفوعاً مختصراً.

-٤عن عمر مولى غفرة مرسلاً مطولاً.

موقوفة :

جاءت عن ابن عمر، وابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، مطوّلة بأسانيد صحيحة أو حسَنة؛ جزم بذلك الحاكم، وابن كثير، وابن حجر، والسيوطي، وغيرهم...

وكذا جاءت مختصرة بإسناد صحيح، عن أم سلمة، وعائشة، وحفصة. وكذا رويت عن عمر.

وجاءت بما يشبه الإجماع من الصحابة، في قصة المرأة التي قدِمت من دومة الجندل.

عن التابعين:

جاءت مطولة بسند صحيح، عن مجاهد، وعبيد الله بن عبد الله بن عباس، وكعب الأحبار، والسدي، والربيع. وجاءت مختصرة عن قتادة، والحسن، وأبي جعفر الباقر، وابن جريج، وخصيف، وابن زيد .

كما جاءت رؤيتهما وأنهما معذبان في بابل العراق، منكّسة رؤوسهما، ويعلِّمان السحر، عن أربعة:

-١بسند صحيح عن صحابية جليلة أو تابعية مخضرمة، أقرها جمهور الصحابة على ما قالت، وصدّقوها فيه.

-٢بسند صحيح عن تابعي فاضل، اشتهر بذلك في الصدر الأول، وكان الناس يسألونه بمحضر الولاة والعلماء عن تلك الحادثة.

-٣بسند لا بأس به، عن إمام من أئمة التابعين في التفسير، وهو: مجاهد بن جبر. وتناقل العلماء قصته، وجزموا بحصولها معه.

-٤عن المفسر الحسين بن داود، المشهور بسُنَيْد، كما نقلها ابن العربي في "الأحكام."

وليس لكل هؤلاء مخالف ولا منكر في القرون الأولى المفضلة، ولا يثبت أي تفسير للآيات بسوى ذلك في الصدر الأول؛ بل جزم بعض العلماء بتواتر القصة، وأنها تفيد العلْم -كما تقدم.-

والثاني عقليّ:

وهو: موضوع عصمة الملائكة. وهذه المسألة لا يظهر فيها أي إشكال، لأن الرواية تبيّن أنهم نُقلوا من طبيعة الملائكة، ورُكبت فيهم شهوات بني آدم؛ فلا أدري لماذا يتعلّل بها مَن تعلّل؟ !

وقد ردّ عليهم جماعة من أهل العلْم تقدّم ذكْر بعضهم. ونضيف هنا مايلي :

قال البيهقي في "الشُعب": فمَن يعبد الله وطينه معجون بالهوى والشهوة، كانت عبادته أفضل؛ ألا ترى مَن ابتلي من الملائكة بالشهوة، كيف وقع في المعصية؟ وذكر قصة هاروت وماروت.

وقال ابن العربي في "أحكام القرآن" (١/٤٤): "وتحقيق القول فيه: أنه لم يصحّ سنده، ولكنه جائز كلّه في العقل لو صح في النقل. وليس بممتنَع أن تقع المعصية من الملائكة، ويوجد منهم خلاف ما كُلفوه، وتُخلق فيهم الشهوات؛ فإن هذا لا ينكره إلا رجلان: أحدهما: جاهل لا يدري الجائز من المستحيل. والثاني: مَن شم ورد الفلاسفة، فرآهم يقولون إن الملائكة روحانيون، وإنهم لا تركيب فيهم، وإنما هم بسائط .وشهوات الطعام والشراب والجماع لا تكون إلاّ في المركبات من الطبائع الأربع؛ وهذا تحكم في القولين من وجهيْن:

أحدهما :أنهم أخبروا عن الملائكة وكيفيتهم بما لم يعاينوه ولا نُقل إليهم، ولا دل دليل العقل عليه.

والثاني :أنهم أحالوا على البسيط أن يتركّب، وذلك عندنا جائز؛ بل يجوز عندنا بلا خلاف أن يأكل البسيط، ويشرب ويطأ، ولا يوجد من المركّب شيء من ذلك... إلى أن قال : "وخبر الله تعالى عنهم بأنهم يسبِّحون الليل والنهار لا يفترون، ويفعلون ما يؤمرون، صدْق لا خلاف فيه، لكنه خبر عن حالهم وهي ما يجوز أن تتغير فيكون الخبر عنها بذلك أيضاً. وكل حق صدق لا خلاف فيه. وقد قال علماؤنا: إنه خبر عام يجوز أن يدخله التخصيص، وهذا صحيح أيضاً. وقد روى سُنَيْد في" تفسيره": أنه دخل إليهما في مغارهما وكلّمهما وتعلّم منهما في زمن الإسلام؛ وليس التعلم منهما إلا سماع كلامهما، وهما إذا تكلما إنما يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر! أي: لا تجعل ما تسمع منا سبباً ،للكفر كما جعل السامري ما اطلع عليه من أثر فرس جبريل سبباً لاتخاذ العجل إلهاً من دون الله. وفي هذا من العبرة الخشية من

سوء العاقبة والخاتمة، وعدم الثقة بظاهر الحالة، والخوف من مكر الله تعالى؛ فهذا بلعام في الآدميين كهاروت وماروت في الملائكة المقربين."

وقال المناوي في "فيض القدير :(١/١٧٨) "

"فائدة :قال بعض الشافعية يُستثنى من جزم الأئمة بقبول التوبة، أربعة لا تُقبل توبتهم: إبليس، وهاروت، وماروت، وعاقر ناقة صالح. قال بعضهم: ولعل المراد: أنهم لا يتوبون". انتهى .

واعترض بأن ما ذكره في إبليس غير صواب، بل هو على ظاهره. وما ذكره في هاروت وماروت غير صحيح، لأن قصتهم قد دلت على أنهم يُعذَّبون في الدنيا فقط، وأنهم في الآخرة يكونون مع الملائكة، بعد ردّهم إلى صفاتهم.

تفسير بقية الآيات وأنواع السحر وحكمه

***

فقد انتهينا في المحاضرة السابقة من سوْق الآثار الواردة في قصة هاروت وماروت، مع التعليق عليها، ونستكمل هنا بقية الآثار الواردة في تفسير بقية الآيات.

بقية الآثار :

عن قتادة في قوله{ :إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ}، قال: بلاء .

وأما قوله تعالى{ :فَلا تَكْفُرْ :}

فأخرج البزار، والحاكم وصححه، عن عبد الله بن مسعود، قال)) :من أتى كاهناً أو ساحراً فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد .((

وأخرج البزار، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم)) :–ليس منا مَن تطيّر، أو تُطيِّر له، أو تكهّن أو تُكهِّن له، أو سحر أو سُحِر له. ومن عقد عقدة، ومن أتى كاهناً فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزِل على محمد .((

وأخرج عبد الرزاق، عن صفوان بن سليم، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم :–))من تعلّم شيئاً من السِّحر– قليلاً أو كثيراً– كان آخر عهده من الله.((

والأحاديث في السِّحر وذمّه، وما يتعلق به، كثيرة لا نطيل بذكْرها، ويأتي بعضها في مسائل الآيات –إن شاء الله تعالى.–

وعن ابن جريج، قال في هذه الآية: "لا يجترئ على السِّحر إلاّ كافر."

وأما قوله تعالى{ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا }...الآية :

فأخرج مسلم وغيره، عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه–، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال)) :إن الشيطان ليضَع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه في الناس؛ فأقربهم عنده منزلة :أعظمهم عنده فتنة. يجيء أحدهم فيقول: مازلت بفلان حتى تركته وهو يقول: كذا وكذا. فيقول إبليس: لا والله ما صنعت شيئاً! ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرّقت بينه وبين أهله. قال: فيقرّبه ويُدنيه ويلتزمه، ويقول :نِعم أنت .((!بفتح النون وكسرها .

وقال ابن كثير –رحمه الله–: "رجّح شيخنا أبو الحجاج المزي فتح النون، وراجعته فثبت على ذلك. والمشهور عند النحاة: كسْرها. واحتج به بعضهم على جواز كون فاعل "نعم" مضمراً، وهو قليل ."

وعن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، قال: "ما أبالي أفرّقت بين الرجل وامرأته، أو مشيت إليهما بالسيف."

وأخرج ابن ماجة، عن أبي رهم، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم)) :–من أفضل الشفاعة: أن يُشفع بين اثنيْن في النكاح .((

عن قتادة، في قوله{ :فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}، قال:" يؤخّرون أحدهما عن صاحبه، ويبغِّضون أحدهما إلى صاحبه."

وعن الحسن البصري، قال{ :وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ}، قال: "نعم. من شاء الله سلّطهم عليه، ومن لم يشإ الله لم يُسلّط؛ ولا يستطيعون ضُرَّ أحد إلاّ بإذن الله، كما قال الله تعالى ."

وعن الحسن، أنه قال:" لا يضر هذا السحر إلاّ من دخل فيه ."

وعن قتادة{ :مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ}، قال: "لقد علِم أهل الكتاب فيما يقرؤون من كتاب الله، وفيما عُهد لهم: أنّ الساحر لا خلاق له عند الله يوم القيامة .

وعن ابن عباس، في قوله{ :مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ }قال: "قوام ."

وعن ابن عباس، ومجاهد، والسدي{ :مِنْ خَلاَقٍ" :}من نصيب."

وأخرج الطستي في "مسائله"، عن ابن عباس: أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله –عز وجل{ :–مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ}، قال: من نصيب .قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت أمية بن أبي الصلت، وهو يقول؟

يَدْعُون بالويل فيها لا خَلاقَ لهم	إلاّ سَرَابِيل من قَطْرٍ وأغلالِ

وعن قتادة" :ما له في الآخرة من جهة عند الله ."

وعن الحسن{ :مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ }قال: "ليس له دِين ."

وعن السدي في قوله{ :وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا }قال" :باعوا ."

قوله تعالى{ :وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.}

عن ابن عباس قال: "كل شيء في القرآن{ لَوْ}، فإنه لا يكون أبداً ."
و عن قتادة، في قوله{ :لَمَثُوبَةٌ}، قال" :ثواب."

أقوال المفسرين.

قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ}: الضمير لبني إسرائيل، لا لعلمائهم فقط، والرسول: محمد -صلى الله تعالى عليه وسلم-.
{مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ}: أي: من التوراة، من حيث إنه -صلى الله تعالى عليه وسلم- جاء على الوصف الذي ذُكر فيها، أو أخبر بأنها كلام الله تعالى المنزل على نبيه موسى -عليه السلام-، أو صدَّق ما فيها من قواعد التوحيد، وأصول الدين، وإخبار الأمم، والمواعظ والحِكم، أو أظهر ما سألوه عنه من غوامضها.
{نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}: أي: التوراة، وهم اليهود الذين كانوا في عهده -صلى الله تعالى عليه وسلم-، لا الذين كانوا في عهد سليمان -عليه السلام- كما توهمه بعضهم من اللحاق، لأن النّبذ عند مجيء النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- لا يُتصوّر منهم.
{كِتَابَ اللَّهِ}: المراد به: التوراة. وقيل: القرآن. وأيده أبو حيان بأن الكلام مع الرسول، فيصير المعنى: أنه يُصدّق ما بأيديهم من التوراة، وهم بالعكس يكذِّبون ما جاء به من القرآن، ويتركونه ولا يؤمنون به، بعدما لزمهم تلقّيه بالقبول.
{كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ}: جملة حالية، أي: نبذوه مُشَبَّهين بمن لا يعلم أنه كتاب الله تعالى، أو لا يعلمه أصلاً، أو لا يعلمونه على وجه الإتقان، ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته -صلى الله عليه وسلم-؛ وهذا على تقدير أن يراد الأحبار، وفيه إيذان بأن علْمهم به رصين، لكنهم يتجاهلون.
وعن الشعبي: "هو بين أيديهم يقرؤونه، ولكنهم نبذوا العمل به".
وعن سفيان:" أدرجوه في الديباج والحرير، وحلّوْه بالذهب، ولم يُحلّوا حلاله ولم يُحرِّموا حرامه".

ومَن فسّر كتاب الله تعالى بالقرآن، جعل متعلّق العلْم أنه كتاب الله، أي: كأنهم لا يعلمون أن القرآن كتاب الله تعالى، مع ثبوت ذلك عندهم وتحقّقه لديهم. وفيه إشارة إلى أنهم نبذوه لا عن شبهة، ولكن بغياً وحسداً.

قال الآلوسي: "فاليهود أربع فِرَق: ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها، كمؤمني أهل الكتاب؛ وهم الأقلّون المشار إليهم بـ{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}. وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود؛ وهم المعنيّون بقوله تعالى: {نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ}. وفرقة لم يجاهروا، ولكن نبذوا لجهلهم؛ وهم الأكثرون. وفرقة تمسّكوا بها ظاهراً ونبذوها سراً؛ وهم المتجاهلون".

قال ابن كثير: "فالقوم ذمّهم الله بنبْذهم العهود التي تقدّم الله إليهم في التمسك بها والقيام بحقها؛ ولهذا أعقبهم ذلك التكذيب بالرسول المبعوث إليهم وإلى الناس كافة، الذي في كتبهم نعْته وصفته وأخباره. وقد أُمروا فيها باتّباعه ومؤازرته ومناصرته، كما قال: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالأِنْجِيلِ...} الآية. وقال ها هنا: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}، أي: اطّرَح طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم -مما فيه البشارة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- {وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ}، أي: تركوها {كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ} ما فيها، وأقبلوا على تعلّم السِّحر واتّباعه. ولهذا أرادوا كيد الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وسحروه في مُشْط ومُشَاقة -وهو شعر من الرأس واللحية يسقط مع المِشْق، وهو: المِشْط-، وجُفّ طَلْعة ذكَر- وهو: وعاء الطَّلع، وهو: قِشْره-، تحت رَاعُوفَة بئر ذي أَرْوان - وهي بئر في المدينة في بستان بني زُرَيق-. ورَاعُوفَة البئر: صخرة تنزل في أسفل البئر إذا احتفرت تكون هناك؛ فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقِّي عليها. ويقال: هو حجَر يكون على رأس البئر، يقوم عليها المستقي. وكان الذي تولى ذلك منهم: رجل يقال له: لَبِيد بن الأعصم -لعنه الله-. فأطلع الله على ذلك رسولَه -صلى الله عليه وسلم-، وشفاه منه وأنقذه، كما ثبت ذلك مبسوطاً في الصحيحين، عن عائشة أمّ المؤمنين -رضي الله عنها-.
قال الآلوسي: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ}، الضمير للذين تقدموا من اليهود، أو الذين

كانوا في زمن سليمان –عليه السلام–، أو الذين كانوا في زمن نبينا –صلى الله تعالى عليه وسلم–، أو ما يتناول الكلّ.

والمتبادر من الشياطين: مردة الجنّ، وهو قول الأكثرين. وقيل: المراد بهم: شياطين الإنس؛ وهو قول المتكلّمين من المعتزلة.

وقوله: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا...} الآية: ساق ابن كثير جملة كبيرة من الآثار المتقدّمة في تفسير الآية، ثم قال:

"فهذه نبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام، ولا يخفى ملخص القصة، والجمع بين أطرافها، وأنه لا تعارض بين السياقات على اللبيب الفهم –والله الهادي–".

قال: "فقوله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ}، أي: واتّبعت اليهود –الذين أوتوا الكتاب –بعد إعراضهم عن كتاب الله الذي بأيديهم، ومخالفتهم الرسول (محمداً) –صلى الله عليه وسلم– ما تتلوه الشياطين. أي: ما (ترويه وتخبر به)، وتحدثه الشياطين على ملك سليمان. وعدّاه بـ {عَلَى} لأنه ضمن {تَتْلُوا}: تكذب".

وقال ابن جرير: "{عَلَى} ها هنا بمعنى: "في"، أي: تتلو في ملك سليمان"، ونقله عن ابن جريج، وابن إسحاق.

قال ابن كثير: والتضمين أحسن وأولى –والله أعلم–. وقول الحسن البصري –رحمه الله–: قد كان السِّحر قبل زمان سليمان بن داود، صحيح لاشك فيه، لأن السحرة كانوا في زمان موسى –عليه السلام–، وسليمان بعده، كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...} الآية، ثم القصة بعدها، وفيها: {وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ}. وقال قوم صالح –وهم قبل إبراهيم الخليل –عليه السلام– لنبيّهم صالح: {إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ}، (أي: المسحورين، على المشهور).

وظاهر قوله تعالى: {يَعْلَمُونَ...} إلخ: أنهم يُفهمونهم إياه بالإقراء والتعليم. وقيل: يدلّونهم على تلك الكتب؛ فأطلق على تلك الدلالة تعليماً إطلاقاً للسبب على المسبب. وقيل: المعنى يُوقّرون في قلوبهم أنها حق تضر وتنفع، وأن سليمان –عليه السلام– إنما تم له ما تم بذلك.

وقيل: يُعْلِّمون بمعنى: يُعلمون مِن "الإعلام" وهو: الإخبار، أي: يُخبرونهم بما أو بمن يتعلّمون به أو منه السّحر.

وقوله تعالى: {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}:

{وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ}: المراد: الجنس، وهو عطف على السحر وهما واحد، إلاّ أنه نزّل تغايرَ المفهوم منزلة تَغايُر الذات.

وقد يراد بالموصول المعهود، وهو نوع آخر أقوى؛ فيكون من عطف الخاصّ على العامّ، إشارة إلى كماله. وقال مجاهد: "هو دون السِّحر، وهو ما يفرّق به بين المرء وزوجه، لا غير".

والمشهور الأول.

قال الآلوسي: "وجوّز العطف على: {مَا تَتْلُوا}، فكأنه قيل: اتّبعوا السحر المدوّن في الكتب وغيره. وهذان الملكان أنزلا لتعليم السِّحر ابتلاء من الله تعالى للناس؛ فمن تعلّم وعمل به كفَر، ومَن تعلّم وتوقّى عمله ثبت على الإيمان. ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء، كما امتحن قوم طالوت بالنهر، وتمييزاً بينه وبين المعجزة، حيث إنه كثر في ذلك الزمان، وأظهر السحرة أموراً غريبة وقع الشك بها في النبوة؛ فبعث الله تعالى الملكيْن لتعليم أبواب السِّحر حتى يُزيلا الشّبه ويميطا الأذى عن الطريق. قيل: كان ذلك في زمن إدريس– عليه السلام–".

قال ابن كثير: اختلف الناس في هذا المقام، فذهب بعضهم إلى أنّ {مَا} نافية، أعني: التي في قوله: {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ}. [قال القرطبي: {مَا}: نافية، ومعطوف على قوله: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ}، ثم قال: {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحر وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ}، وذلك أن اليهود كانوا يزعمون أنه نزل به جبريل وميكائيل، فأكذبهم الله، وجعل قوله: {هَارُوتَ وَمَارُوتَ} بدلاً من: {الشَّيَاطِينَ}، قال: وصح ذلك إمّا لأنّ الجمع يطلق على الاثنيْن، كما في قوله تعالى: {فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ}، أو لكون لهما أتباع، أو ذُكرا من بينهم لتمرّدهما. تقدير الكلام عنده: يعلّمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت. ثم قال: وهذا أولى ما حُملت عليه الآية وأصح، ولا يُلتفت إلى ما سواه].

قال ابن جرير: "فتأويل الآية على هذا: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ} مِن السِّحر. {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ}، ولا أنزل الله السحر على الملَكيْن. {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} ببابل هاروت وماروت، فيكون قوله: {بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ} مِن المؤخَّر الذي معناه المقدَّم".

قال:" فإن قال لنا قائل: وكيف وجه تقديم ذلك؟ قيل: وجه تقديمه: أن يقال: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ} وما أنزل الله على الملَكين، {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} ببابل هاروت وماروت. فيكون معنياً بالملكين: جبريل وميكائل -عليهما السلام-، لأن سحرة اليهود -فيما ذُكر- كانت تزعم أنّ الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائل إلى سليمان بن داود، فأكذبهم الله بذلك، وأخبر نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم-: أن جبريل وميكائل لم ينزلا بسحر، وبرَّأ سليمان -عليه السلام- ممّا نحلوه من السِّحر. وأخبرهم أنّ السحر عن عمل الشياطين، وأنها تعلِّم الناس ذلك ببابل، وأن الذين يعلِّمونهم ذلك رجلان؛ اسم أحدهما: هاروت، واسم الآخر: ماروت؛ فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس ورداً عليهم". هذا لفظه بحروفه.

ثم شرع ابن جرير في ردّ هذا القول، وأن {مَا} بمعنى: الذي. وأطال القول في ذلك، وادّعى أنّ هاروت وماروت ملَكان أنزلهما الله إلى الأرض، وأذن لهما في تعليم السحر، اختباراً لعباده وامتحاناً، بعد أنه بيّن لعباده أنّ ذلك ممّا يُنْهى عنه على ألسنة الرّسل. وادّعى أن هاروت وماروت مُطيعان في تعليم ذلك، لأنهما امتثلا ما أُمِرا به.

قال ابن كثير: "وهذا الذي سلكه غريب جداً! وأغرب منه: قول مَن زعم أنّ هاروت وماروت قبيلان من الجن [كما زعمه ابن حزم]".

قلت: أمّا أنهما ملكان أنزلا إلى الأرض إلى آخر القصة، فهذا تقدّم كلامنا فيه في الآثار؛ وهو الصحيح، ولا غرابة فيه؛ بل الغرابة في أيّ قول سواه. وأمّا أن يكون سبب الإنزال تعليم السحر، فهو الغريب.

وعن الضحاك بن مزاحم: هما علجان من أهل بابل.

قلت : العلج هو: الكافر الغليظ. والعلوج: الكفار.

قال ابن كثير: ووجّه أصحاب هذا القول "الإنزال" بمعنى: الخلق، لا بمعنى: الإيحاء، في قوله:

{وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ}، كما قال تعالى: {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ}، {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ}، {وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً}. وفي الحديث: ((ما أنزل الله داءً إلاّ أنزل له دواء))، وكما يقال: أنزل الله الخير والشر.

فالمعنى: وما خلق على عهد الملكين ببابل، أي: من السحر.

[وحكى القرطبي، عن ابن عباس، وابن أبزى، والحسن البصري: أنهم قرؤوا: {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلِكَيْنِ} -بكسر اللام-، قال ابن أبزى: وهما: داود وسليمان. قال القرطبي: فعلى هذا، تكون {مَا} نافية أيضاً].

وقال بعضهم: هما رجلان، إلاّ أنهما سُمِّيا ملَكين باعتبار صلاحهما، ويؤيّده ما قيل: إنهما داود وسليمان.

قال الآلوسي: "وممّا يقضي منه العجب، ما قاله الإمام القرطبي: إن {هَارُوتَ وَمَارُوتَ} بدل من: {الشَّيَاطِين} على قراءة التشديد، و{مَا} في: {وَمَا أُنْزِلَ} نافية. والمراد من الملَكين: جبرائيل وميكائيل، لأن اليهود زعموا أن الله تعالى أنزلهما بالسحر. وفي الكلام تقديم وتأخير... إلى أن قال: وأعجب من قوله هذا: قوله: وهذا أوْلى ما حُملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها، ولا يُلتفت إلى ما سواه. ولا يخفى لدى كل منصف أنه لا ينبغي حمْل كلام الله تعالى -وهو في أعلى مراتب البلاغة والفصاحة- على ما هو أدنى من ذلك، وما هو إلاّ مسخ لكتاب الله تعالى -عز شأنه- وإهباط له عن شأوه؛ ومفاسد قلّة البضاعة لا تحصى".

قلت: تقدم انتقاد ابن قتيبة لذلك أيضاً في المحاضرة الفائتة.

قال ابن كثير: "وذهب كثيرون من السلف إلى أنهما كانا ملَكيْن من السماء، وأنهما أنزلا إلى الأرض، فكان من أمرهما ما كان، كما سبق في: الآثار.

قال: وعلى هذا، فيكون الجمع بين هذا وبين ما ثبت من الدلائل على عصمة الملائكة: أن هذيْن سبق لهما في علْم الله هذا؛ فيكون تخصيصًا لهما، فلا تعارض حينئذ. كما سبق في علْمه من أمر إبليس ما سبق -وفي قول أنه كان من الملائكة، لقوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ}... إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك- مع أن شأن هاروت وماروت -على ما ذكر- أخفّ مما وقع من إبليس -لعنه الله-".

قال الآلوسي: واختلف في كيفية تلقي ذلك العلْم منهما، فقال مجاهد: إنهما لا يصل إليهما أحد من الناس، وإنما يختلف إليهما شيطانان في كل سنة اختلافة واحدة، فيتعلّمان منهما. وقيل -وهو الظاهر-: إنهما كانا يباشران التعليم بأنفسهما في وقت من الأوقات، والأقرب أنهما ليسا إذ ذاك على الصورة الملَكية.

{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ}، قال الآلوسي: أي ما يُعلِّم الملَكان أحداً حتى ينصحاه، ويقولا له: إنما نحن ابتلاء من الله -عز وجل-، فمن تعلّم منا وعمل به كفَر، ومن تعلّم وتوقّى ثبت على الإيمان. فلا تكفُر باعتقاده وجواز العمل به!

وقيل: فلا تتعلّم معتقداً إنه حق حتى تكفر! وهو مبني على رأي الاعتزال من أن السحر تمويه وتخييل. ومن اعتقد حقيته يكفر.

و {حَتَّى} للغاية، وقيل: بمعنى "إلاّ".

وقوله تعالى: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}، أي: فيتعلم الناس من هاروت وماروت -من علْم السِّحر- ما يتصرّفون به فيما يتصرّفون من الأفاعيل المذمومة، ما إنهم ليفرّقون به بين الزوجين، مع ما بينهما من الخلطة والائتلاف؛ وهذا من صنيع الشياطين.

وسبب التفريق بين الزوجين بالسحر: ما يُخيّل إلى الرجل أو المرأة من الآخر من سوء منظر، أو خلق، أو نحو ذلك، أو عقد، أو بغضة، أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفرقة.

وقيل: المراد ما يُفرِّق لكونه كفراً، لأنه إذا تعلّم كفر فبانت زوجته، أو إذا تعلّم عمل، فتراه أناس فيعتقدون أنه حق، فيكفرون فتبِين أزواجهم.

وقوله تعالى: {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ}: قال سفيان الثوري: "إلاّ بقضاء الله".

وقال محمد بن إسحاق: "إلاّ بتخلية الله بينه وبين ما أراد".

{وَمَا هُمْ}: الضمير للسحرة الذين عاد إليهم ضمير {فَيَتَعَلَّمُونَ}. وقيل: لليهود الذين عاد إليهم ضمير {وَاتَّبَعُوا}. وقيل: لـ{الشَّيَاطِين} وضمير {بِهِ} عائد لـ{مَا} و{مِنْ} زائدة، لاستغراق النفي؛ كأنه قيل: وما يضرون به أحداً.

قال الآلوسي: والمراد من الإذن هنا: التخلية بين المسحور وضرر السحر؛ قاله الحسن. وفيه

دليل على أن فيه ضرراً مودَعاً: إذا شاء الله تعالى حال بيْنه وبيْنه، وإذا شاء خلاّه وما أودعه فيه؛ وهذا مذهب السلف في سائر الأسباب والمسببات. وقيل: الإذن بمعنى الأمر، ويُتجوز به عن التكوين بعلاقة ترتب الوجود على كلّ منهما في الجملة، والقرينة: عدم كون القبائح مأموراً بها؛ ففيه نفي كون الأسباب مؤثِّرة بنفسها، بل بجعله إياها أسباباً.

وقوله تعالى: {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ}، أي: يضرّهم في دِينهم، وليس فيه نفع يوازي ضرره.

{وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ}: لأنهم يقصدون به العمل قصداً جازماً، وقصد المعصية كذلك معصية، أو لأنّ العلْم يدعو إلى العمل ويجرّ إليه، لا سيما عمل الشر الذي هو هوى النفس.

{وَلاَ يَنْفَعُهُمْ} عطف على ما قبله، للإيذان بأنه شر بحت وضرر محض، لا كبعض المضار المشوبة بنفع وضرر، لأنهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار بأكاذيب السحرة، ولا إماطة الأذى عن الطريق حتى يكون فيه نفع في الجملة.

{وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ}، أي: ولقد علم اليهود -الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسل- لَمَن فعَل فعلهم ذلك، أنه ما له في الآخرة من خلاق. وقيل: الضمير لليهود الذين كانوا على عهد سليمان -عليه السلام-. وقيل: للملَكين، لأنهما كانا يقولان: فلا تكفر! وأتى بضمير الجمع على قول من يرى ذلك.

{لَمَنِ اشْتَرَاهُ}: أي: استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله.

وقوله تعالى: {وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}؛ يقول تعالى: {وَلَبِئْسَ} البديل ما استبدلوا به من السحر عوضاً عن الإيمان ومتابعة الرسل، لو كان لهم علْم بما وُعظوا به.

ولا تنافي بين إثبات العلْم لهم أولاً، ونفْيه عنهم ثانياً، إما لأن المثْبَت لهم هو: العقل الغريزي، والمنفيّ عنهم هو: الكسب الذي هو من جملة التكليف، أو لأن الأول هو: العلْم بالجملة، والثاني هو: العلم بالتفصيل؛ فقد يعلم الإنسان مثلاً قبح الشيء، ثم لا يعلم أنّ فعله قبيح. فكأنهم علموا أنّ شراء النفس بالسحر مذموم، لكن لم يتفكروا في أنّ ما يفعلونه هو من جملة ذلك القبيح. أو لأنهم علِموا العقاب ولم يعلموا حقيقته وشدّته، وإما لأنّ الكلام مُخرَّج على تنزيل العالِم بالشيء منزلة الجاهل، ووجود الشيء منزلة عدمه، لعدم ثمرته؛ حيث إنهم لم يعملوا

بعلمهم، أو على تنزيل العالِمِ بفائدة الخبر ولازمها منزلة الجاهل، بناء على أن قوله تعالى: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} معناه: لو كان لهم علْم بذلك الشراء، لامتنعوا منه، أي: ليس لهم علْم؛ فلا يمتنعون.

{وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ}، أي: ولو أنهم آمنوا بالله ورسله، واتقوا المحارم، لكان مثوبة الله على ذلك خيراً لهم ممّا استخاروا لأنفسهم ورضوا به، كما قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ}.

{لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}: أصله: لأُثيبوا مثوبة من عند الله، خيراً ممّا شروا به أنفسهم. ولم يقل: "لَمثوبة الله"، مع أنه أخصر، ليُشعر التنكير بالتقليل، فيفيد أنّ شيئاً قليلاً من ثواب الله تعالى في الآخرة الدائمة خير من ثواب كثير في الدنيا الفانية. فكيف وثواب الله تعالى كثير دائم، وفيه من الترغيب والترهيب المناسبيْن للمقام ما لا يخفى؟

وذهب أبو حيان إلى أن: {خير} هنا: للتفضيل لا للأفضلية، على حد قوله:

... فخيرُكما لشرِّكما فداءُ

{لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}: المفعول محذوف، بقرينة السابق، أي: إن ثواب الله تعالى خير. ونفْي العلْم لنفْي ثمرته الذي هو العمل، أو لترْك التّدبر.

المعنى الإجمالي للآيات

***

يُخبر تعالى عن طرف من مخازي اليهود، وهو: موقفهم عندما جاءهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالبيان والبراهين الدالة على صدْقه، بما يوافق ما لديهم في كتابهم من بشارات به وغيرها، فنبذوا كتابهم وراء ظهورهم، وأهملوا العمل به كأنهم لا يعلمون أن فيه تصديق هذا النبي والأمر باتباعه. واستعاضوا عن ذلك باتّباع ما افترتْه الشياطين من السحر في كتب

سليمان التي أخرجتها بعد موته من تحت كرسيه، وادّعت عليه أنه كان يعمل بها، وبها كان ملكه، فرماه من رماه بالكفر. فبرّأه الله تعالى منه، وبيّن أنه حاشاه أن يكفر، وإنما كفر هؤلاء الشياطين الذين علّموا الناس هذا السحر .

كما اتّبعوا ما أنزل الله من أنواع السحر على الملَكين اللّذين قبلا الابتلاء من الله بوضع شهوات بني آدم فيهما وإنزالهما إلى الأرض، فما كان منهما إلاّ أن وقعا في المعصية، وافتتنا بالمرأة التي مسخها الله كوكباً، وهي :الزهرة، كما في القصة المشهورة؛ فكان عقابهما أنهما يعذَّبان في بابل مُنَكَّسة رؤوسهما. وجُعلا فتنة للناس، فمن أراد أن يتعلّم أنواعاً من السحر أتاهما فعلماه إياها، ولا يعلِّمان أحداً يأتيهما إلاّ بعد أن يُحذِّراه ويُخبراه أنهما جُعلا فتنة وبلاء، وأن تعلّمه هذا السحر منهما يؤدِّي إلى كفره وخروج الإيمان منه. فمَن قبِل بذلك تعلّم منهما ما يمكنه أن يُفرِّق به بين الرجل وامرأته، كما فعل هؤلاء اليهود مع النبي –صلى الله عليه وسلم– حيث أخذوه عن أهله بما سحره به لبيد بن الأعصم اليهودي.

ثم بيّن تعالى أنه لا يتمكّن الساحر من إيقاع الضرر بالمسحور إلاّ بإذن الله. فقد يخلق الله من الأسباب ما يحول بينه وبين تحقيق الضرر بالمسحور .

وهؤلاء الذين يتعلّمون السحر إنما هم في الحقيقة يتعلمون ما يضرهم ضرراً محضا بضياع آخرتهم، فإنهم قد علموا يقيناً أن من اشترى هذا السحر إنما يشتريه ببذل إيمانه، فليس له في الآخرة أي نصيب؛ فبئس هذا البيع الذي باعوا به أنفسهم، لو كانوا يعلمون حقيقة ما ارتكبوا وعظم قبحه وسوء مآله.

ولو أنهم آمنوا برسول الله تعالى، وما أنزل إليه، واتقوا ما يغضب الله من التكذيب والسحر واتباع الشياطين وغير ذلك، لكان الثواب الذي هو من عند الله هو الخير لهم لو كانوا يعلمون حقيقة ذلك .

مسائل الآيات

***

الأولى :في قصة سليمان –عليه السلام–، وذهاب مُلْكه، وأمْر خاتمه.

تقدّمت روايات في الآثار تتعلّق بها، ولم نُعرّج على نقْدها والكلام عنها لأنها تتعلق بتفسير قوله تعالى} :وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ .{والحديث عنها يطول، وإنما اقتصرنا على موضع الشاهد الخاص بأمر السِّحر، وافتراء الشياطين على سليمان –عليه السلام .–وتفصيل الكلام على تِلكم الروايات يُطلب في محلّه.

الثانية: أنواع السِّحر، وما هو المُحرَّم منه؟

ذكَر الرازي ثمانية أنواع من السِّحر :

الأول: سحر الكُلدانيِّين والكُشدانيِّين، الذين كانوا يعبدون الكواكب (السبعة) المتحيِّرة، وهي السّيّارة .

وكانوا يعتقدون أنها مُدبِّرة العالَم، وأنها تأتي بالخير والشر. وهم الذين بعث الله إليهم إبراهيم الخليل –عليه السلام– مُبطلاً لمقالتهم وراداً لمذاهبهم .

قال ابن كثير: وقد استقصى الرازي في كتاب "السِّرّ المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم" المنسوب إليه –كما ذكره القاضي ابن خَلكان وغيره– طرائقَهم في مخاطبة كلّ من هذه الكواكب السبعة، وكيفيّة ما يفعلون وما يلبسونه وما يتنسّكون به.

قال: ويقال: إنه تاب منه. وقيل: بل صنّفه على وجه إظهار الفضيلة، لا على سبيل الاعتقاد؛ وهذا هو المظنون به .

قلت: لم يظهر من كلام الرازي هذا نوع معيّن من السحر، ولكن هذا يُعتبر داخلاً فيما يأتي من الاستعانة بالشياطين، لأن عبادة هذه الكواكب مِن التّقرّب إليهم .وقد صحّ عن النبي –

صلى الله عليه وسلم قوله)) :مَن اقتبس عِلماً مِن النجوم، اقتبس شُعبة مِن السِّحر، زاد ما زاد .((أخرجه أحمد وغيره.

قال الرازي :

والنوع الثاني: سِحر أصحاب الأوهام والنّفوس القوية.

ثم استدلّ على أنّ الوهم له تأثير، بأن الإنسان يُمكنه أن يمشي على الجسر الموضوع على وجْه الأرض، ولا يُمكنه المشي عليه إذا كان ممدوداً على نهر أو نحوه. قال :وكما أجمعت الأطباء على نهْي المرعوف عن النظر إلى الأشياء الحُمر، والمصروع إلى الأشياء القويّة اللّمعان أو الدّوران، وما ذاك إلاّ لأنّ النفوس خُلقت منطبعة للأوهام. قال: وقد اتّفق العقلاء على أنّ الإصابة بالعين حق.

وله أن يستدلّ على ذلك بما ثبت في الصحيح: أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم–قال :))العيْن حق، ولو كان شيء سابق القدَر لسبقتْه العيْن.((

قال: فإذا عرفت هذا، فنقول: النفس التي تفعل هذه الأفاعيل، قد تكون قوية جداً فتستغني في هذه الأفاعيل عن الاستعانة بالآلات والأدوات، وقد تكون ضعيفة فتحتاج إلى الاستعانة بهذه الآلات. وتحقيقه: أن النفس إذا كانت مشتغلة عن البدن، شديدة الانجذاب إلى عالَم السماوات، صارت كأنها روح من الأرواح السماوية، فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالَم. وإذا كانت ضعيفة، شديدة التّعلّق بهذه اللّذات البدنية، فحينئذ لا يكون لها تصرّف البتّة إلاّ في هذا البدن. ثم أرشد إلى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء، والانقطاع عن الناس، والرياضة.

قال ابن كثير: وهذا الذي يُشير إليه هو التّصرّف بالحال، وهو على قسميْن :

تارة يكون حالاً صحيحة شرعية، يتصرّف (بها) فيما أمر الله تعالى ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، وترْك ما نهى الله تعالى عنه ورسوله –صلى الله عليه وسلم–. وهذه الأحوال مواهب من الله تعالى، وكرامات للصالحين مِن هذه الأمة؛ ولا يُسمّى هذا سِحراً في الشّرع .

وتارة تكون الحال فاسدة، لا يمتثل صاحبها ما أمر الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، ولا يتصرّف بها في ذلك؛ فهذه حال الأشقياء المخالِفين للشريعة. ولا يدل إعطاء الله (إيّاهم)

هذه الأحوال على محبته لهم، كما أنّ الدّجّال –لعنه الله– له من الخوارق للعادات ما دلّت عليه الأحاديث الكثيرة، مع أنه مذموم شرعاً –لعنه الله–. وكذلك مَن شابهه مِن مُخالفي الشريعة المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. وبسْط هذا يطول جداً، وليس هذا موضعه .

قلت: وهذا النوع لا علاقة له بالسِّحر المذكور في الآية.

قال الرازي :

النوع الثالث مِن السِّحر: الاستعانة بالأرواح الأرضية– وهم الجن–، خلافاً للفلاسفة والمعتزلة. وهم على قسميْن :مؤمنون، وكفّار، وهم الشياطين.

قال: واتّصال النفوس الناطقة بها أسهل مِن اتصالها بالأرواح السماوية، لما بينهما من المناسبة والقرب. ثم إنّ أصحاب الصنعة وأرباب التجربة، شاهدوا أنّ الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة، مِن الرّقى والدَّخْن والتجريد؛ وهذا النوع هو المسمَّى بالعزائم وعمَل تسخير.

قال القرطبي: ومِن السحر ما يكون كلاماً يُحفظ، ورُقًى من أسماء الله تعالى. وقد يكون من عهود الشياطين. ويكون أدوية وأدخنة، وغير ذلك...

قلت: وهذا النوع مِن السحر ممّا يدخل تحت الآية، وقول القرطبي: من أسماء الله تعالى، فيه نظر؛ فلو كان كذلك لِما كان سِحراً، ولِما حرُم، وإنّما جلّه أسماء للشياطين، والعياذ بالله.

قال:

النوع الرابع مِن السِّحر: التّخييلات والأخذ بالعيون والشعْبذة، ومبناه (على) أنّ البصر قد يُخطئ، ويشتغل بالشيء المعيَّن دون غيره.

ألا ترى أن المشَعْبِذ الحاذق يُظهر عمَل شيء يُذهل أذهان الناظرين به، ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استفْرغهم الشغْل بذلك الشيء بالتحديق نحوه، عمل شيئاً آخر بسرعة شديدة؛ وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه، فيتعجّبون منه جداً. ولو أنه سكت، ولم يتكلّم

بما يَصرف الخواطر إلى ضدّ ما يريد أن يعمله، ولم تتحرّك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفطن الناظرون لكلّ ما يفعله .

قال: وكلّما كانت الأحوال التي تفيد حسّ البصر نوعاً من أنواع الخلل أشدّ، كان العمل أحسن. مثل: أن يجلس المشَعْبِذ في موضع مضيء جداً، أو مظلم، فلا تقف القوة الباصرة على أحوالها- لكلالها -والحالة هذه.

قال القرطبي: ومِن السحر ما يكون بخفّة اليد كالشعوذة .

والشَعْوَذِيّ: البريد، لخفة سيره. قال ابن فارس: "وليست هذه الكلمة مِن كلام أهل البادية ."

قال ابن كثير: وقد قال بعض المفسّرين: إنّ سحر السحرة بين يدي فرعون، إنما كان من باب الشعبذة، ولهذا قال تعالى} :قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ{، وقال تعالى} :يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى .{قالوا:ولم تكن تسعى في نفس الأمر -والله أعلم .-

قلت: هذا أيضاً ليس مِن السحر المذكور في الآية، ولا يظهر وجْه لتحريمه أصلاً، وفي إلحاق سحرة موسى به نظر واسع؛ فالله سبحانه وصَفه بالسحر العظيم، ولو كان مجرّد حيلة، فلا يليق وصْفه بذلك. وفرْق كبير بين أن تُسْحَر العين فترى الشيء على خلاف حقيقته، وبين أن تُخدع بحيث تنشغل عن حقيقة الأمر بشيء آخر.

قال:

النوع الخامس مِن السِّحر: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب آلات مركَّبة مِن النِّسب الهندسيّة.

كفارس على فرس في يده بوق، كلّما مضت ساعة من النهار ضرب بالبوق من غير أن يمسّه أحد .

ومنها: الصّوَر التي تصوِّرها الروم والهند حتى لا يُفرّق الناظر بينها وبين الإنسان، حتى يصوِّرونها ضاحكة وباكية... إلى أن قال: فهذه الوجوه مِن لطيف أمور المخاييل. قال: وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل.

قال ابن كثير: يعني ما قاله بعض المفسِّرين: إنهم عمدوا إلى تلك الحبال والعصيّ، فحشَوْها زِئْبَقاً، فصارت تتلوّى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق؛ فيُخيَّل إلى الرائي أنها تسعى باختيارها .

قال الرازي: ومن هذا الباب: تركيب صندوق السّاعات .ويندرج في هذا الباب علْم جرّ الأثقال بالآلات الخفيفة .قال: وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يُعدّ من باب السحر، لأن لها أسباباً معلومة يقينيّة، مَن اطّلع عليها قدَر عليها .

قلت: وهذا ليس مِن السِّحر المحرّم في شيء، ولا علاقة له بما جاء في الآية، ويدخل فيه: الهاتف والمِذياع والكمبيوتر وسائر التقنيات...

قال ابن كثير: ومِن هذا القبيل: حيَل النصارى على عامّتهم بما يُرونهم إياه مِن الأنوار، كقضية قمامة الكنيسة التي لهم بالبلد المقدس، وما يحتالون به من إدخال النار خفية إلى الكنيسة، وإشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة، تروج على الطُّغام منهم. وأما الخواصّ فهم معترفون بذلك، ولكن يتأوّلون أنهم يجمعون شمْل أصحابهم على دينهم، فيرَوْن ذلك سائغاً لهم. وفيه شبه للجهلة الأغبياء مِن مُتعبدي الكرامية، الذين يرون جواز وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب، فيَدخلون في عداد مَن قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيهم :))مَن كذَب عليَّ مُتعمِّداً، فليتبوَّأْ مقعده مِن النار((!، وقوله)) :حدِّثوا عني ولاَ تكذبوا (عليّ)! فإنه مَن يَكذب عليّ يَلِج النار.((

ثم ذكر الرازي ها هنا حكاية عن بعض الرهبان: وهو أنه سمع صوت طائر حنين الصوت ضعيف الحركة، فإذا سمعته الطيور ترقّ له، فتذهب فتُلقي في وكْره مِن ثمر الزيتون ليتبلّغ به. فعمد هذا الراهب إلى صنعة طائر على شكْله، وتوصّل إلى أن جعله أجوف، فإذا دخلته الريح يُسمع منه صوت كصوت ذلك الطائر. وانقطع في صومعة ابتناها، وزعم أنها على قبر بعض صالحيهم، وعلّق ذلك الطائر في مكان منها. فإذا كان زمان الزيتون، فتح باباً من ناحية؛ فيدخل -أي :الهواء- إلى داخل هذه الصورة، فيُسمع صوتها كذلك الطائر في شكله أيضاً، فتأتي الطيور فتحمل من الزيتون شيئاً كثيراً. فلا ترى النصارى إلاّ ذلك الزيتون في هذه الصومعة، ولا يدرون ما سببه. ففَتَنهم بذلك، وأوهم أنّ هذا من كرامات صاحب هذا القبر -عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة .-

قال الرازي :

النوع السادس مِن السحر: الاستعانة بخواص الأدوية -يعني :في الأطعمة- والدّهانات. قال: واعلم: أنه لا سبيل إلى إنكار الخواصّ، فإنّ أثر المغناطيس مشاهَد .

قال ابن كثير: يدخل في هذا القبيل كثير ممّن يدّعي الفقر، ويتحيّل على جهلة الناس بهذه الخواصّ مدَّعياً أنها أحوال له، من مخالطة النيران، ومَسك الحيات، إلى غير ذلك مِن المحالات...

قلت: وهذا النوع أيضاً لا علاقة له بالسِّحر المذكور في الآية، إلاّ إذا كان فيه استخدام للشياطين -والله أعلم .-

قال :

النوع السابع مِن السحر: تعليق القلْب.

وهو أن يدّعي الساحر أنه عرف الاسم الأعظم، وأنّ الجنّ يُطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور. فإذا اتّفق أن يكون السامع لذلك ضعيف العقل، قليل التمييز، اعتقد أنه حق، وتعلق قلبه بذلك، وحصل في نفسه نوع من الرّعب والمخافة. فإذا حصل الخوف، ضعفت القوى الحسّاسة؛ فحينئذ يتمكّن الساحر أن يفعل ما يشاء .

قال ابن كثير: هذا النمط يقال له: التَّنْبَلَة؛ وإنما يروج على الضعفاء العقول من بني آدم. وفي علْم الفِراسة ما يُرشد إلى معرفة كامل العقل مِن ناقصه، فإذا كان المتَنْبِل حاذقاً في علْم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره.

قلت: هذا أيضاً ليس مِن السِّحر المذكور في الآية.

قال :

النوع الثامن مِن السِّحر: السّعي بالنميمة والتَّضْرِيب من وجوه خفيّة لطيفة، وذلك شائع في الناس .

قال ابن كثير :النميمة على قسميْن :

تارة تكون على وجه التَّحْرِيش (بين الناس)، وتفريق قلوب المؤمنين؛ فهذا حرام متّفق عليه. فأمّا إذا كانت على وجه الإصلاح (بين الناس)، وائتلاف كلمة المسلمين، كما جاء في الحديث)) :ليس بالكذّاب مَن ينمّ خيراً((، أو يكون على وجْه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة، فهذا أمر مطلوب كما جاء في الحديث)) :الحرب خدعة((، وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريقه بين كلمة الأحزاب وبني قريظة، وجاء إلى هؤلاء فنَمَى إليهم عن هؤلاء كلاماً، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئاً آخر، ثم لأَمَ بين ذلك؛ فتناكرت النفوس، وافترقت. وإنما يحدو على مثل هذا الذكاء والبصيرة النافذة –والله المستعان .–

قلت: وهذا كذلك لا علاقة له بالسِّحر المذكور في الآية.

ثم قال الرازي: فهذه جملة الكلام في أقسام السِّحر، وشرح أنواعه وأصنافه .

قال ابن كثير: وإنما أدخل كثيراً من هذه الأنواع المذكورة في فنّ السِّحر للَطافة مداركها، لأن السِّحر في اللغة عبارة عمّا لطف وخفِي سببه؛ ولهذا جاء في الحديث)) :إنّ مِن البيان سِحراً .((

قال القرطبي: وقوله –عليه السلام)) :–إنَّ مِن البيان سِحراً ((يحتمل أن يكون مَدحاً كما تقوله طائفة، ويحتمل أن يكون ذماً للبلاغة. قال: وهذا أصح. قال: لأنها تُصوِّب الباطل، حتى توهم السامع أنه حقّ، كما قال)) :فلعلّ بعضَكم أن يكون أَلْحَن بِحُجَّته مِن بعض، فأقضي له...((الحديث .

قال ابن كثير: وسُمّي السَّحور لكونه يقع خفياً آخر الليل. والسَّحْر: الرئة، وهي محلّ الغذاء، وسُمِّيت بذلك لخفائها ولُطف مجاريها إلى أجزاء البدن وغُضُونه، كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة: انتفخ سَحْره، أي: انتفخت رئته من الخوف. وقالت عائشة –رضي الله عنها–: "تُوفِّي رسول الله– صلى الله عليه وسلم– بين سَحْري ونَحْرِي". وقال تعالى} :سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ{، أي: أخفوا عنهم عمَلهم– والله أعلم .–

قلت: أما قوله: إنّ الرئة محلّ الغذاء فليس بواضح؛ فالرئة موضع دخول الهواء في الجوف عن

طريق القصبة الهوائية .وكلام أبي جهل، وكذا قول عائشة- رضي الله عنها- واضح في ذلك.
وكلام أهل اللغة يؤيِّده، ولا علاقة للغذاء به .

وأمّا من ناحية ما ذكر مِن أنواع السِّحر، فجلّها من باب المعنى اللغوي، كما أشار إليه الحافظ ابن كثير، ولا دخْل لها في آيتنا، وحكمها متفرّع عن مقاصدها.

وخلاصة الأمر: لا يدخل تحت الآية منها سِوى سحْر عبَدة النجوم، وسحْر الاستعانة بالجن؛ وهما داخلان تحت قوله} :وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ.{

ولم يتعرّض الرازي في الأنواع للسحر المتَعلَّم مِن هاروت وماروت، وقد عدّه بعض السلف نوعاً مستقِلاً غير ما يعلِّمه الشياطين؛ فكان ينبغي إفراده.

الثالثة: هل يجوز تعلّم السِّحر المُحرَّم؟

قال الرازي: العلْم بالسِّحر ليس بقبيح ولا محظور؛ اتّفق المحقّقون على ذلك، لأن العلْم لذاته شريف، وأيضاً لعموم قوله تعالى} :قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ{، ولأن السِّحر لو لم يُعلم، لما أمكن الفرْق بينه وبين المعجزة. والعلم بكوْن المعجز معجزاً واجب، وما يتوقّف الواجب عليه فهو واجب. فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلْم بالسحر واجباً، وما يكون واجباً فكيف يكون حراماً وقبيحا؟ !

قال ابن كثير: هذا لفظه بحروفه في هذه المسألة، وهذا الكلام فيه نظر مِن وجوه :

أحدها :قوله" :العِلْم بالسِّحر ليس بقبيح"، إن عنى به: ليس بقبيح عقلاً، فمُخالفوه من المعتزلة يمنعون هذا. وإن عنى: أنه ليس بقبيح شرعاً، ففي هذه الآية الكريمة تبشيع لتعلّم السحر. وفي الصحيح)) :مَن أتى عرّافاً أو كاهناً، فقد كفَر بما أُنزِل على محمّد .((!وفي السّنن)) :مَن عقد عُقدة ونفث فيها، فقد سحَر.((

قلت: أمّا الذم في الآية فمقبول، وأما ما استدل به من أحاديث، فليست في محلّ النِّزاع كما هو واضح؛ فالأول ليس في المتعلِّم وإنما فيمن ذهب وصدّق، والثاني فيمن سحر وليس فيمن تعلّم فقط، على ما في إسناده من ضعف .

قال ابن كثير: وقوله: "ولا محظور؛ اتفق المحقّقون على ذلك"؛ كيف لا يكون محظوراً مع ما

ذكرناه من الآية والحديث؟! واتّفاق المحقِّقين يقتضي أن يكون (قد) نصّ على هذه المسألة أئمة العلماء أو أكثرهم، وأين نصوصهم على ذلك؟

ثم إدخاله (علْم) السحر في عموم قوله تعالى} :قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ {فيه نظر، لأنّ هذه الآية، إنّما دلت على مدح العالِمين العلْم الشّرعيّ، ولِمَ قُلت: إنّ هذا منه؟ ثم ترقِّيه إلى وجوب تعلّمه بأنه لا يحصل العلْم بالمعجز إلاّ به، ضعيف، بل فاسد لأن أعظم معجزات رسولنا –عليه الصلاة والسلام– هي: القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديْه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد .ثم إنّ العلم بأنه معجز لا يتوقف على علْم السِّحر أصلاً. ثم مِن المعلوم بالضرورة: أنّ الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامّتهم، كانوا يعلمون المعجز، ويفرِّقون بينه وبين غيره، ولم يكونوا يَعلمون السِّحر ولا تعلّموه ولا علَّموه –والله أعلم .–

قال الآلوسي: ونقل بعضهم وجوبَ تعلّمه على المفتي، حتى يَعلم ما يُقتل به وما لا يُقتل به؛ فيفتي به في وجوب القصاص. والحقّ عندي: الحرمة، تبعاً للجمهور إلاّ لداعٍ شرعيّ.

وتعقب الرازي بقوله: أولاً: لا ندّعي أنه قبيح لذاته، وإنما قُبحه باعتبار ما يترتّب عليه. فتحريمه من باب سدّ الذرائع. وكم مِن أمر حُرِّم لذلك. وفي الحديث)) :مَن حام حوْل الحِمى يوشك أن يقع فيه.((

وأما ثانيا :فلأنّ توقّف الفرق بينه وبين المعجزة على العلْم به، ممنوع. ألا ترى أن أكثر العلماء أو كلّهم إلاّ النادر، عرفوا الفرْق بينهما، ولم يعرفوا علم السِّحر؟ وكفى فارقاً بينهما: ما تقدم. ولو كان تعلّمه واجباً لذلك، لرأيت أعلم الناس به الصّدر الأول، مع أنهم لم يُنقل عنهم شيء من ذلك. أفتراهم أخلّوا بهذا الواجب، وأتى به هذا القائل؟! أو أنه أخَلّ به كما أخلوا؟

وأمّا ثالثاً :فلأن ما نُقل عن بعضهم غير صحيح، لأن إفتاء المفتي بوجوب القَوَد أو عدمه لا يستلزم معرفته علْم السحر، لأن صورة إفتائه على ما ذكرَه العلامة ابن حجر: إن شهد عدلان عرفاَ السِّحر وتابا منه أنه يَقتل غالباً، قتل الساحر، وإلاّ فلا.

الرابعة: حُكم مَن تعلّم السِّحر، ومَن علَّمه، ومَن عمل به.

قوله تعالى في قصة هاروت وماروت: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ}.
استدل بعضهم بهذه الآية على تكفير مَن تعلّم السِّحر، واستشهد له بالحديث الذي رواه البزار وغيره، عن عبد الله، قال: ((مَن أتى كاهناً أو ساحراً فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزِل على محمد)).
قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد، وله شواهد أخر.
وقد يستدل بقوله: {وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا...} مَن ذهب إلى تكفير السّاحر، كما هو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل، وطائفة من السلف.
وقيل: بل لا يكفر، ولكن حدّه: ضرب عنقه، كما سيأتي بيانه.

قال ابن حجر في "الفتح":
وقد استُدل بهذه الآية على أن السّحر كفر، ومتعلِّمه كافر؛ وهو واضح في بعض أنواعه، وهو: التّعبّد للشياطين أو للكواكب. وأما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة، فلا يكفر به من تعلّمه أصلاً. قال النووي: عمَل السحر حرام، وهو مِن الكبائر بالإجماع؛ وقد عدّه النبي –صلى الله عليه وسلم– مِن السّبْع الموبقات. ومنه ما يكون كفراً، ومنه ما لا يكون كفراً بل معصية كبيرة. فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر، وإلاّ فلا. وأمّا تعلّمه وتعليمه فحرام؛ فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر، واستتيب منه ولا يقتل. فإن تاب قُبلت توبته. وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عُزّر.
... إلى أن قال: وقد أجاز بعض العلماء تعلّم السِّحر لأحد أمْرَيْن: إمّا لتمييز ما فيه كفر من غيره، وإمّا لإزالته عمّن وقع فيه.
فأما الأول: فلا محذور فيه إلاّ من جهة الاعتقاد؛ فإذا سلِم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرّده لا تستلزم منعاً، كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان، لأن كيفيّة ما يعمله السّاحر إنما هي حكاية قول أو فعل، بخلاف تعاطيه والعمل به.

وأما الثاني: فإن كان لا يتم -كما زعم بعضهم- إلاّ بنوع من أنواع الكفر أو الفسق، فلا يحلّ أصلاً، وإلاّ جاز للمعنى المذكور... وهذا فصل الخطاب في هذه المسألة.

قال: وفي إيراد المصنف -أي: البخاري- هذه الآية: إشارة إلى اختيار الحُكم بكفْر الساحر، لقوله فيها: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}. فإن ظاهرها: أنهم كفروا بذلك، ولا يكفر بتعليم الشيء إلاّ وذلك الشيء كفر. وكذا قوله في الآية على لسان المَلَكيْن: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ}؛ فإن فيه إشارة إلى أنّ تعلّم السِّحر كفْر، فيكون العمل به كفراً. وهذا كلّه واضح على ما قرّرته من العمل ببعض أنواعه. قد زعم بعضهم: أن السحر لا يصحّ إلاّ بذلك؛ وعلى هذا فتسْمية ما عدا ذلك سحراً مجاز، كإطلاق السِّحر على القول البليغ.

قلت: والزعم الذي نقله عن البعض هو الظاهر، كما سيأتي بيانه.

وقد اختلفوا فيمن يتعلّم السحر ويستعمله:

فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يكفر بذلك.

ومِن أصحاب أبي حنيفة مَن قال: إن تعلّمه ليتّقيَه أو ليجْتنبه، فلا يكفر. ومَن تعلّمه معتقداً جوازه، أو أنه ينفعه، كفر. وكذا مَن اعتقد أنّ الشياطين تفعل له ما يشاء، فهو كافر.

وقال الشافعي -رحمه الله-: إذا تعلّم السحر، قلنا له: صفْ لنا سحرك! فإن وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها، فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته فهو كافر.

قلت: المطّلع على ما صُنِّف في السِّحر من الكتب العربية والأعجمية، يلاحظ أنّ السِّحر المحرَّم فيه درجات:

- سحر يتعلّمه السّاحر نقلاً عن بعض هذه الكتب، بعمَل أمورا تُطلب منه، فيحضر له الجنِّيّ، وينفِّذ له ما يطلبه؛ ولا يكون ذلك إلاّ بعد شِركيّات وكُفريّات يؤدِّيها.

- وسحر لابدّ لمتعلِّمه أن يلتقي بالشيطان فيُتَوِّجه ساحراً في حفلة كُفريّة قذرة، ويبصق بين كتفيه تاركاً علامة، تشبّها بخاتم النبوة. وهؤلاء ترفض الكنائس دخولهم وإجراء مراسم جنائزهم، بمجرّد رؤيتهم لهذه العلامة. وقد أخبرني مَن رأى هذه العلامة على جدِّه الساحر

وهو منتسب للإسلام، وهي تُشبه رجْل الهرّ. ومنها يدخل قرينه جسده، ومنها يخرج. وهذا لا يكون إلاّ بكفْر ورِدّة وتعاهد مع الشيطان في صكّ كفري.

- وسحر لابد لِمتعلِّمه من الذهاب لهاروت وماروت ببابل، فيَخرج منه إيمانه هناك، ويشتري دنياه بآخرته، كما مرّ معنا في الآثار الصحيحة.

وممّا قدّمته، يتبيّن أنّ السحر الحقيقيّ كلّه كفْر وشرك، ولكن بعضه أغلظ من بعض -والله المستعان-.

وقد استدل بالآية على العكس مَن جوّز تعلّم السِّحر، ووجْهه: أنّ فيها دلالة على وقوع التعليم من الملائكة، مع عصمتهم، والتّعلم مطاوع له. قال الآلوسي: ولا يخفى أنه لا دليل فيها على الجواز مطلقاً، لأن ذلك التعليم كان للابتلاء والتمييز. وقد ذكر القائلون بالتحريم: أنّ تعلّم السحر إذا فُرض فُشوّه في صِقع، وأريد تبيين فساده لهم ليرجعوا إلى الحق، غير حرام. كما لا يحرم تعلّم الفلسفة للمنصوب للذّبّ عن الدين، بِردِّ الشّبَه، وإن كان أغلب أحواله التحريم؛ وهذا لا ينافي إطلاق القول به.

قلت: هذا مبنيّ على فهْم غير صحيح للآية، وهو: أنّ الله أنزل هاروت وماروت ليعلِّما الناس السحر ليجتنبوه، وقد تقدّم بطلان هذا الفهم.

الخامسة: حدّ السّاحر إذا كان مسلماً أو غير مسلم.

ذهب جماعة من أهل العلْم إلى قتْله، لِما رواه البخاري وغيره عن بجالة بن عبدة، قال: "كتب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: أن اقتلوا كلَّ ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر ."

وهكذا صحّ: أن حفصة أمّ المؤمنين سحرتْها جارية لها، فأمرت بها فقُتلت .

وروى الترمذي وغيره، عن جندب الأزدي: أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم :-))حدُّ السّاحر: ضربُهُ بالسّيف .((

ثم قال: لا نعرفه مرفوعاً إلاّ مِن هذا الوجه. وإسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث.

والصحيح: عن الحسن عن جندب، موقوفاً .

قال ابن كثير: قد رواه الطبراني من وجْه آخر، عن الحسن، عن جندب مرفوعاً –والله أعلم .–
قال: وقد روي مِن طُرق متعدِّدة: أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه، فكان يضرب رأس الرجل، ثم يصيح به فيردّ إليه رأسه. فقال الناس: سبحان الله !يحيي الموتى! ورآه رجل من صالحي المهاجرين، فلما كان الغد جاء مشتملاً على سيفه. وذهب يلعب لعِبَه ذلك، فاخترط الرجل سيفه، فضرب عنق السّاحر، وقال: إن كان ساحراً فلْيُحْيِ نفسه! وتلا قوله تعالى} :أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ .{فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك، فسجنه، ثم أطلقه –والله أعلم .–
وروى الإمام أحمد وغيره، عن حارثة، قال: (كان) عند بعض الأمراء رجل يلعب، فجاء جندب مشتملاً على سيفه، فقتله .قال: أُراه كان ساحراً .
قال (الإمام) أحمد بن حنبل: فثلاثة من أصحاب النبي– صلى الله عليه وسلم– في قتْل السّاحر .يعني: ثبت ذلك عنهم، وهم: عمر، وحفصة، وجندب.
قال ابن كثير: وحمل الشافعي –رحمه الله– قصّة عمر وحفصة على سحْر يكون شِرْكاً –والله أعلم .–
قلت: قد قدّمت أنه لا سِحر بلا شرك.
قال ابن هبيرة: وهل يُقتل بمجرّد فعْله واستعماله؟
فقال مالك وأحمد: نعم .
وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا .
فأمّا إن قَتل بسِحره إنساناً، فإنه يُقتل عند مالك والشافعي وأحمد. وقال أبو حنيفة: لا يُقتل، حتى يتكرّر منه ذلك، أو يقرّ بذلك في حقّ شخص مُعيّن. وإذا قُتل فإنه يُقتل حداً عندهم، إلاّ الشافعي، فإنه قال :يُقتل –والحالة هذه– قصاصاً .
قال: وهل إذا تاب السّاحر تُقبل توبته؟
فقال مالك، وأبو حنيفة وأحمد –في المشهور عنهما–: لا تُقبل .
وقال الشافعي وأحمد –في الرواية الأخرى–: تُقبل.
وأمّا ساحر أهل الكتاب :
فعند أبي حنيفة: أنه يُقتل كما يُقتل الساحر المسلم .

وقال مالك والشافعي وأحمد: لا يُقتل، يعني: لقصة لبيد بن الأعصم .

واختلفوا في المسلمة السّاحرة.

فعند أبي حنيفة: أنها لا تُقتل، ولكن تُحبس .

وقال الثلاثة :حُكمها حُكم الرجل -والله أعلم .-

وعن الزهري قال: يُقتل ساحر المسلمين، ولا يُقتل ساحر المشركين، لأنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سحرتْه امرأة من اليهود فلم يقتلها .

]وقد نقل القرطبي عن مالك -رحمه الله-: أنه قال في الذِّمِّي: يُقتل إن قَتل سِحره. وحكى ابن خويز منداد عن مالك روايتين في الذّمّي إذا سحر: إحداهما: أنه يُستتاب، فإن أسلم وإلاّ قُتل .والثانية: أنه يُقتل وإن أسلم .

وأمّا الساحر المسلم، فإن تضمّن سحره كفراً، كفَر عند الأئمة الأربعة وغيرهم، لقوله تعالى : {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ.}

لكن قال مالك: إذا ظُهر عليه، لم تُقبل توبته لأنه كالزنديق؛ فإن تاب قبل أن يُظهر (عليه)، وجاءنا تائباً قبلناه، فإن قَتل سحرُه قُتل .

قال الشافعي: فإن قال: لم أتعمّد القتل فهو مُخطئ، تجب عليه الدية .

وقد حاول ابن حزم دفْع الحجج على قتْل الساحر فأخطأ في ذلك، وتفصيل الكلام في هذه المسألة ليس هذا محلّه.

السادسة: هل للسِّحر حقيقةٌ تأثيرٌ؟

قال الزمخشري{ :مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}، أي: علْم السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجيْن مِن حيلة وتمويه، كالنّفث في العقد، ونحو ذلك ممّا يُحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف، ابتلاءً منه؛ لا أنّ السحر له أثر في نفسه، بدليل قوله تعالى{ :وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ}، لأنه ربما أحدث الله عنده فعلاً من أفعاله، وربما لم يحدث.

وحكى الرازي وغيره عن المعتزلة :أنهم أنكروا وجود السِّحر، قال :وربما كفّروا مَن اعتقد وجوده .

قال): وأمّا أهل السنة :فقد جوّزوا أن يَقدر الساحر أن يطير في الهواء، ويقلب الإنسان حماراً، والحمار إنساناً، إلاّ أنهم قالوا: إن الله يخلق الأشياء عندما يقول الساحر تلك الرّقى والكلمات المعيّنة؛ فأمّا أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلَك والنجوم فلا، خلافاً للفلاسفة والمنجِّمين والصابئة .

ثم استدل على وقوع السّحر، وأنه بخلْق الله تعالى، بقوله تعالى{ :وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ}، ومن الأخبار بأنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سُحر، وأن السّحر عمل فيه، وبقصة تلك المرأة مع عائشة –رضي الله عنها–، وما ذكرت تلك المرأة من إتيانها بابل وتعلّمها السحر. قال: وبما يذكر في هذا الباب من الحكايات الكثيرة.

وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة –رحمه الله– في كتابه" :الإشراف على مذاهب الأشراف" باباً في السحر، فقال: أجمعوا على أنّ السّحر له حقيقة، إلاّ أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عنده .

وقال القرطبي :وعندنا أنّ السحر حق وله حقيقة، يخلق الله عنده ما يشاء، خلافاً للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفراييني من الشافعية، حيث قالوا: إنه تمويه وتخييل .

قال ابن كثير، بعد أن ساق قصّة المرأة من دومة الجندل:

وقد استدل بهذا الأثر مَن ذهب إلى أنّ الساحر له تمكّن في قلب الأعيان، لأن هذه المرأة بذرت واستغلّت في الحال .

وقال آخرون :بل ليس له قدرة إلاّ على التّخييل، كما قال تعالى{ :سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ}، وقال تعالى{ :يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى.}

قال الآلوسي" :وأكفر المعتزلة مَن قال ببلوغ الساحر إلى حيث ما ذكرنا، زعماً منهم أنّ بذلك انسداد طريق النبوة؛ وليس كما زعموا، على ما لا يخفى. ومِن المحققين مَن فرّق بين السحر والمعجزة، باقتران المعجزة بالتحدي، بخلافه فإنه لا يمكن ظهوره على يد مُدّعي نبوة كاذباً، كما جرت به عادة الله تعالى المستمرة، صوناً لهذا المنصب الجليل عن أن يتسور حماه الكذابون."

السابعة: هل يُسأل السّاحر حلاً لسِحْره؟

أجازه سعيد بن المسيّب، فيما نقله عنه البخاري. وقال عامر الشّعبي: لا بأس بالنّشرة. وكَرِه ذلك الحسن البصري .

وفي الصحيح عن عائشة: أنها قالت: يا رسول الله، هلا تَنَشَّرت؟ فقال(:أمّا والله لقد شفاني، وخشيت أن أفتح على الناس شراً)

وحكى القرطبي عن وهب: أنه قال: يُؤخذ سبع ورقات من سِدر، فتُدقّ بين حجَرين، ثم تُضرب بالماء، ويُقرأ عليها آية الكرسي. ويَشرب منها المسحور ثلاث حسوات، ثم يغتسل بباقيه؛ فإنه يذهب ما به .وهو جيّد للرجل الذي يُؤخذ عن امرأته .

قال ابن كثير: أنفع ما يُستعمل لإذهاب السحر: ما أنزل الله على رسوله محمد –صلى الله عليه وسلم– في إذهاب ذلك، وهما المعوّذتان، وفي الحديث(لم يتعوّذ المتعوِّذون بمِثلِهما) وكذا قراءة آية الكرسي، فإنها مطردة للشيطان.

قلت: أمّا حلّ السِّحر بكفر وشرك، فلا شكّ في عظم تحريمه .وأمّا بنحو ما ذُكر عن وهب بن منبه، فلا يوجد ما يمنع منه –والله أعلم.–

الثامنة: اختلف أهل العلْم: هل بابل المذكورة في الآية هي بابل العراق، أم غيرها؟

وقد دلّت الآثار الصحيحة –ومنها قصة المرأة– على أنّ بابل المذكورة في القرآن هي: بابل العراق، لا بابل دیناوند، كما قاله السدي وغيره ...

وقال ابن كثير: ثم الدليل على أنها بابل العراق ...فذكر ما رواه ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–، قال: "إنّ حبيبي –صلى الله عليه وسلم– نهاني أن أصلّي ببابل؛ فإنها ملعونة ."

وما رواه أبو داود عن أبي صالح الغفاري: أنّ علياً مرّ ببابل وهو يسير، فجاءه المؤذّن يؤذنه بصلاة العصر. فلما برز منها، أمَر المؤذن فأقام الصلاة. فلما فرغ قال: إنّ حبيبي –صلى الله عليه وسلم– نهاني أن أصلي في المقبرة، ونهاني أن أصلّي بأرض بابل؛ فإنها ملعونة .

قال ابن كثير: وهذا الحديث حسن عند الإمام أبي داود، لأنه رواه وسكت عنه. ففيه من الفقه: كراهية الصلاة بأرض بابل، كما تُكره بديار ثمود الذين نهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن الدخول إلى منازلهم، إلاّ أن يكونوا باكين .

قال أصحاب الهيئة: وبُعد ما بين بابل –وهي من إقليم العراق– عن البحر المحيط الغربي، ويقال له: أُوقْيَانوس: سبعون درجة، ويسمّون هذا: طولاً. وأمّا عرضها– وهو بُعد ما بينها وبين وسط الأرض من ناحية الجنوب–، وهو المسامت لخط الاستواء: ثنتان وثلاثون درجة – والله أعلم .–

قلت: الحديث فيه ضعف، ولكنه يصلح كشاهد على أنّ بابل هنا بابل العراق، كما ذكر ابن كثير. وأمّا حُكم نزول الأرض الملعونة، فقد فصّلته في كتاب: "الصيحة الحزينة في البلد اللعينة"؛ وهو في حُكم زيارة ديار ثمود.

وقال الآلوسي: قال الخطابي: في إسناد هذا الحديث مقال، ولا أعلم أحداً من العلماء حرّم الصلاة بها. ويشبه– إن ثبت الحديث– أن يكون نهاه عن أن يتّخذها وطناً ومقاماً، فإذا أقام بها كانت صلاته فيها... إلى أن قال: وكان ذلك إنذاراً منه بما لقي مِن المحنة في تلك الناحية.

قلت: ذكرت في الرسالة الآنفة نقولاً عن الإمام أحمد، والبيهقي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، في كراهة الصلاة في أماكن العذاب والخسف.

هذا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

الفهرس

***

الموضوع	الصفحة
القراءات والمناسبة ولغويات الآيات	٣
الآثار الواردة في الآية الأولى	٦
الآثار الواردة في قصة هاروت وماروت	
أولا : الأحاديث المرفوعة	١٤
ثانيا : الروايات الموقوفة	
قصة عائشة مع المرأة من دومة الجندل	٢٣
بقية روايات الصحابة	٢٦
روايات التابعين	٣٦
كلام أهل العلم في القصة ومناقشته	٤٥
سبب الاعتراض على القصة	٥٢
تفسير بقية الآيات	٥٦
المعنى الإجمالي للآيات	٦٦
مسائل الآيات	٦٨
أنواع السحر وماهو المحرم منه	٦٨
هل يجوز تعلم السحر المحرم ؟	٧٥
حكم من تعلم السحر ومن علمه ومن عمل به	٧٧
حد الساحر إذا كان مسلما أو غير مسلم	٧٩
هل للسحر حقيقة ؟	٨١
هل يسأل الساحر حلا لسحره ؟	٨٣
هل بابل بالعراق أم بغيرها ؟	٨٣